

www.alrased.net

سلسة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

الراصد ١٥٢ جمادى الأولى ١٤٣٧هـ

كي نقضي على الطائفية والإرهاب علينا بالثبات وسد الثغرات

المحتويات

فاتحة القـول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

دراســــــات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة





رسالة دورية تصدر بداية كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٥٢)
جمادى الأولى - ١٤٣٧ هـ

www.alrased.net
info@arased.net





كي نقضي على الطائفية والإرهاب علينا بالثبات وسد الثغرات

بعيداً عن ضجيج الإشاعات والحملات الإعلامية المزيفة التي توظف الصور المؤذية للضحايا الأبرياء وتسخر أبواقها المأجورة لإشاعة اليأس والقنوط، فإن الحقيقة هي بخلاف ذلك، فأمة الإسلام لا تزال حية وعصية على القتل الذي يريدونه لها، ولا تزال صامدة في وجه مؤامراتهم، نعم هي تعاني الجراح والطعنات والخيانات والتقصير، لكنها هَزمت أعداءها بصمودها، فمنذ قرنين سموها «الرجل المريض» وكانوا يأملون وفاتها، لكن الله عز وجل بشرنا على لسان رسوله الكريم «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» رواه أبو داود وصححه الألباني.

ومضت الأيام وتعافى «الرجل المريض»، ولكن عادت الأمة لتواجه تحديات مميتة، وعلى رأسها تحدي الطائفية الشيعية، وتحدي الإرهاب.

فقد كادت جهود الدعوة الطائفية الشيعية تنتشر بين المسلمين وترسّخ بينهم شركها وضلالها، بتأليه أئمة الشيعة وعبادة مراقدهم بالطواف حولها والسجود لها وطلب الحاجات منها، والجهر بتحريف القرآن الكريم وتكفير وسب أصحاب النبي ﷺ وأمهات المؤمنين، وذلك كله جهاراً نهاراً وعلى عشرات القنوات الفضائية الشيعية.

ولم يتوقف خطر الطائفية الشيعية عند هذا، بل تعداه لتتويج الجهود الطائفية السياسية والإعلامية والعسكرية بإعلان بعض قادة إيران أنهم احتلوا عدة عواصم عربية والبقية في الطريق!

ورافق ذلك تمدد وانتشار للإرهاب الأعمى والفكر المتطرف الذي تمثلت قمته في تنظيم داعش وبقية إخوته من جماعات العنف والتطرف.

ولكن من رحمة الله عز وجل بهذه الأمة أن جعل محنها وابتلاءها سبباً لشفائها وقوتها وصحوتها، فقد استيقظ المخدوعون بالشيعة والخوارج من العامة والمثقفين والدعاة والجماعات الإسلامية والأنظمة الحاكمة على وقع قنابل وصواريخ الغدر والخيانة التي قتلت ألوف المسلمين في العراق وسوريا واليمن وغيرها، وأسالت من دمائهم الأنهار وأعادت أخبار التتار والمغول لتشاهدها الأعين حقيقة على أرض الواقع بعد أن شاهدتها كتابة على صفحات كتب التاريخ!

ويمكن أن نعدّ شجاعة الشيخ القرضاوي ود. عبد الله النفيسي في الاعتراف علنا بخطأ موقفهما الإيجابي من الشيعة أكبر تجسيد لحالة اليقظة التي حدثت في الأمة تجاه الخطر والعدوان الطائفي الشيعي والذي أصبح حالة عامة بين الناس.

لقد خسر الشيعة وخسرت إيران وخسر أذنابهما كل قوتهم الناعمة التي خدعت ملايين المسلمين سنين طويلة، ولم يبق لهم إلا القوة الصلبة الخشنة التي تُستنزف على أرض سوريا واليمن، يجب أن ندرك أن الشيعة وإيران في حالة هبوط لا ارتفاع، وخسارة لا نصر، وتفتت لا قوة.

فشعبية الشيعة وإيران وحزب الله في الحضيض بين المسلمين، وهذه خسارة ضخمة جداً ولعلها كانت مصدر قوة الشيعة وإيران في ما مضى، وإيران اقتصاديا تعاني من الحصار وانخفاض سعر البترول وحتى الإفراج عن ١٠٠ مليار دولار عقب الاتفاق النووي لن يمكن إيران من تعويض خسائرها في الجبهات المشتعلة ولن يسكت الغاضبين فيها، كما أن صفها السياسي يتفتت، وهم على أعتاب مرحلة تبديل مرشدهم والولي الفقيه إما بالوفاة وإما بالانقلاب أو الإعفاء!

وأيضاً فكر الغلو والتطرف، فبعد أن خدع الكثير من الشباب والدعاة والفضلاء، أصبح اليوم مكشوفاً للغالبية من المسلمين، فقد انكشف مقدار اختراق هذه الجماعات من قبل أعداء المسلمين من القوى الدولية والإقليمية وأن كثيرا منها يُدار عن بعد من قبل الشيعة وغيرهم، ورغم وجود بعض حسني النية في صفوفهم إلا أن ثمار أعمالهم مسمومة ومضرّة بالإسلام والمسلمين في كل بلد دخلوه.

وبرغم فداحة الجرائم التي قامت بها داعش وأتباعها والقاعدة وفروعها وبقية جماعات الغلو من قتل العلماء وتفجير المساجد وتعذيب الأبرياء وتفجير المسالمين، إلا أن انكشاف الغمة عن أعين غالبية الشباب والدعاة والعلماء عن مقدار الكارثة العميقة التي تتسبب بها هذه الجماعات

وارتفاع أصوات الإدانة والنبذ لها صراحة وعلانية لهو أكبر قدراً وأعظم نفعاً.

والأمة اليوم بمختلف مكوناتها من العلماء والدعاة والجماعات والحكومات والدول تخوض حرباً مفتوحة مع الطائفية الشيعية المجرمة والمعتدية، ومع الإرهاب والتطرف والغلو، وقد قطعت شوطاً كبيراً، فقد أحبطت انقلاب الشيعة في البحرين بتدخل قوات درع الجزيرة، وقضت على خلايا شيعية نائمة في الكويت والبحرين، وأعلنت عاصفة الحزم التي أجهضت انقلاب الحوثيين في اليمن، وقطعت رأس النمر الإرهابي وقطعت علاقات السعودية والبحرين والسودان وجيبوتي مع إيران، وأصبحت الميلشيات الشيعية أكثر ضراوة لأنها باتت تشعر أنها في الرمق الأخير إن شاء الله.

وعلى صعيد الإرهاب نجحت الأمة في تعرية هذا الفكر البائس فرأينا طلبة العلم في الشام وليبيا والجزيرة واليمن يميطون اللثام عن كثير من شبهاتهم وتلبيساتهم وأنهم متاجرون بالدين، ورأينا المطالبات الصريحة بالتخلص من التبعية لفكر وتنظيم القاعدة المفتري على الأمة الذي يحاول أن يصادر قرارها دون مشورة منها على طريقة الطغاة من الحكام.

إن هذه النجاحات في محاربة الطائفية والإرهاب يجب أن تتواصل لنقضي تماماً عليها، وصدق الشاعر حين قال:

لا تقطعن رأس الأفعى وتتركها

إن كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا

وهذا القضاء المبرم على الطائفية والإرهاب لا يتم إلا بأمرين:

أولاً: الثبات في هذه المعركة والحرب، وخوضها بقوة وكفاءة وذكاء على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والفكرية والإعلامية والدينية، ومن مختلف الشرائح: الدول والحكومات والشعوب والجماعات والعلماء والعامة.

وهذا يقتضي توطين النفس على سياسة النفس الطويل، فإن أبلغ سلاح تحاربنا به الطائفية الشيعية الإيرانية هو سلاح النفس الطويل، وهو كذلك سلاح اليهود الذي انتصروا به علينا.

ومن يدقق في مسار الثورة السورية يلحظ بوضوح كيف عمدت إيران إلى تطويل أمد الصراع لتتكيف مع خسارة الضربة الأولى هناك، ولذلك قبلت بمؤتمر جنيف ١ ثم أفشلته، وبعده جنيف ٢، والآن جنيف ٣، ونفس السياسة تطويل أمد الصراع هو ما تقوم به روسيا وإيران ودميتهم بشار، وهو ما حصل مع الحوثيين في انقلابهم.

وأيضا الحرب مع الإرهاب والتطرف يحتاج إلى نفسية مستعدة لصراع فكري وعسكري طويل، فالتطرف فكرة منحرفة متجددة ومغرية، ويتلاعب بها الكثير من الأعداء.

ولذلك علينا أن نستعد لمعركة طويلة وبمختلف الأدوات وأهما بث الوعي الديني الصحيح والفكر السياسي السليم والتعاطي الإعلامي الذكي، ويجب علينا أن نشحذ همم أهلنا ورعينا لذلك مع توفير ما يلزمهم ليعبروا هذه المعركة.

ثانيا: سد عدد من الثغرات حتى لا ينفذ منها العدو كما حدث في غزوة أحد، ومنها:

- استمرار حالة التفرق والتنازع، وهي على عدة مستويات:

❖ فلا نزال نعاني من حالة من التوجس على أقل تقدير بين أهل السلطة وأهل الدعوة، وهذه حالة يجب زوالها من الطرفين خاصة في دول المواجهة الأولى مع الطائفية والإرهاب، ولعل المبادرة لتجاوز هذه الحالة عبر الوضوح التام والتصحيح للمواقف السابقة تلزم أهل الدعوة خاصة من كان له ميل للشيعة بعنوان الوحدة الإسلامية أو التقريب أو دعم محور الممانعة الكاذبة، أو من كان يحسن الظن بدعاة الغلو والتطرف.

❖ برغم تكالب الأعداء من النصيرية والمليشيات الشيعة من مختلف الدول بقيادة إيران ومشاركة روسيا والأكراد والجيش العراقي والسوري واليمني، إلا أن صف الثوار لا يزال مشتتا ومفرقا!

وإذا كنا نعيب على الدول العربية تشرذمها في قتال اليهود قديماً فما بال الثوار والمجاهدين يتشرذمون على مستوى حارة وليس دولة! ولذلك العمل على تفعيل آليات ناجعة في التنسيق والتعاون إن تعذرت الوحدة والتشارك التام.

- الحذر الحذر من المؤامرات الإعلامية والنفسية ببث الشائعات والأخبار المكذوبة التي يقوم بها الطائفيون والغلاة ووسائل الإعلام العالمية التي تود إفنائنا.

فيجب عدم نشر هذه الأخبار، وأصلاً يجب أن نخفف من تلقي الأخبار من هذه المصادر، ويجب بناء حالة ثقة في مؤسساتنا السياسية والعسكرية، ويجب على هذه المؤسسات أن تطور أداءها الإعلامي وتتواصل مع مجتمعها ونخبه بشكل أوثق، لأن وحدة الصف من أقوى أسلحتنا.

- اليقظة والانتباه لمحاولة البعض من السذج ومن الخبثاء إنقاذ الطائفيين الشيعة والإرهابيين الخوارج، عبر طرح مبادرات وآراء في وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي تهوّن من حجم المعركة معهم والجريمة التي ارتكبوها بحق المسلمين والإسلام، عبر مقالات ومشاركات هنا وهناك تدعو للوحدة والتعايش.

لاحظوا كيف أدارت روسيا مفاوضات جنيف ٣ عبر تكثيف القصف، فهم لا يقبلون بنا إلا عبيدا أو قتلى، ولذلك أي دعوة للحوار والتصالح دون معاقبة الجاني ونزع قوته الظالمة، هي دعوة غبية في أحسن أحوالها ودعوة خبيثة ترغب في أن يلتقط الطائفي والإرهابي أنفاسه ويرتب قوته وصفوفه ليهاجمنا من جديد.

ختاماً، أمتنا في معركة كبرى، وقد قطعت فيها شوطاً بنجاح، وعليك أن تشارك فيها بإيجابية وتكون في مربع دعمها ونصرتها، بالثبات على الحق في وجه عدوان الشيعة والخوارج، وتجنب الفرقة والتنازع والإشاعات والدعوات المشبوهة للتصالح مع الإرهابيين دون عقابهم ونزع قوتهم.

من دعاة الفتنة والضلال في عصرنا
٣- إسلام البحيري

إعداد: فادي قراقرة - كاتب فلسطيني - خاص بالراصد

«وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين في أعين المسلمين، وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون عقبة كؤوداً في طريقنا، وإن نفوذ رجال الدين على الناس ليتضاءل يوماً فيوماً»، البروتوكول ١٧.



هذا ما كتبه اليهود ضمن بروتوكولاتهم المشهورة، والتي من خلالها أثبتوا أنهم أهل مكر وخديعة، كما قال ربنا: (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) (إبراهيم: ٤٦).

فالمسألة عندهم لا تعدو مجرد تدرج في الخطاب الحداثي للوصول إلى إسقاط الدين بإسقاط حملته من العلماء ليسقط على إثره تراثها الذي بنته جهود علمائها الأفذاذ، وعمره بعمر الأمة الإسلامية، وقد ظنوا لوهلة أنهم قادرون عليه ولكن خابوا وخسروا فإنهم (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره ولو كره الكافرون) (الصف: ٨).

وضمن سلسلة حلقاتنا التي تحاول تسليط الضوء على بعض تلك الشخصيات التي تعبث بمقومات الأمة الإسلامية يأتي الحديث عن إسلام البحيري الذي يعد لعبة في أيدي أعداء الأمة.

فمن هو اسلام البحيري؟!

إسلام البحيري: حاصل على ماجستير في «طرائق التعامل مع التراث» من جامعة ويلز بإنجلترا، وهو كاتب في جريدة اليوم السابع وتمثل صفحته في الجريدة النواة الهامة للمشروع الكبير والمعنون باسم (الإسلام والآخر)، وهو رئيس مركز الدراسات الإسلامية بصحيفة اليوم السابع. ويوظف ذلك له في برنامجه التلفزيوني بعنوان «مع إسلام البحيري» على قناة القاهرة والناس، والذي أثار جدلاً واسعاً في الأوساط الثقافية والدينية بسبب أطروحاته التي تطعن في الثوابت الشرعية وأصول الدين مما عرضه لانتقاد الأزهر له وبناءً عليه تم إيقاف برنامجه على قناة (القاهرة والناس) حيث وجه إليه إنذاراً لانتهاكه الدين الإسلامي.

لكـن توسـط لـه رجـل الأعمـال القبطـي المـشهور نجيـب سـاويرس وضـغط مـن أجلـه لاسـتمرار برنامجـه المشهور في مهاجمة التراث الإسلامي!

وفي نهايـة مـايو ٢٠١٥ أدانتـه محكمـة مـصرية بتهمـة ازدراء الأديـان وقـضت عليـه غيابيـاً بالـسجن لمـدة ٥ سـنوات مـع الـشغل والنفـاذ، ممـا دفـع القبطـي نجيـب سـاويرس إلى معـاودة الـدفاع عـن إسـلام الـبحيري وإعـلان التـضامن معـه، حيـث قـال كمـا في جريـدة (الأقبـاط متحـدون) في ١١ أكتـوبر ٢٠١٥: «إن تأييـد الحكـم علـى الباحـث إسـلام الـبحيري بـالحبس لمـدة خمـس سـنوات، بتهمـة ازدراء الأديـان حاجـة مؤسـفة، لافتـا الى أنـه مفكـر، ومن المؤسف الحكم على المفكرين» أ.هـ.

ثـم تم تخفـيض الحكـم للـسجن بـسنة واحـدة بعـد القـبض عليـه، وقـد استـشكل محاميـه الحكـم لكـن المحكمة ردت ذلك.

خلل المنهجية الفكرية عند إسلام البحيري

يقـوم فكـر إسـلام الـبحيري علـى اجـترار كتابـات مـن سـبقه مـن أعـداء الإسـلام سـواء كـان العـداء ظـاهرا كحـال بعـض المستـشرقين اليهـود كـأمثال جولـد تـسيهر أو بعـض مـن كـان عداؤهم باطنـا في نقـد للسنة وإسـقاط لحجيتهـا مـن نفـوس النـاس، لينفـذوا مـن خـلال هـذا الطعن لهدم الدين من الداخل وأنّى لهم ذلك.

فشخـصية إسـلام الـبحيري شخـصية مـضطربة قلقـة، وتجـد هـذا واضـحا في حديثـه، أضـف إلى ذلـك افتقـاره لأهـم أبجـديات البحـث العلمـي، والعجـب أنـه لا يحـسن التعامـل مـع اللغـة العربيـة أصـلاً بـل ولا يحـسن قـراءة القـرآن، وهـذا مـا لاحظتـه في جـل الشخـصيات الحداثيـة الـتي تحـاول نقـد الـدين مـن الـداخل، لـذلك آثـرت في هـذا المقـال سـرد أفكـار الـبحيري دون مناقـشتها لأنهـا أفكـار هـشة تنـاقض بـدهيات الإسـلام، ويـدرك ذلـك عامـة المسلمين.

ومـن عـادات الـبحيري الغريبـة في مناظراتـه أن لا يقـر بخطـأ لـه وقـع فيـه وإن كـان ظـاهراً للعيـان، وقـد وقـع غـير مـا مـرة في أخطـاء مـن هـذا القبيـل كقـراءة آيـة أخطـأ فيهـا أو عـزو غـير حقيقـي، فإنـه يفـر مـن خطئـه بإنكـار وقـوع الخطـأ جملـة وتفـصيلا رغـم وضـوح الخطـأ لـدى المشاهدين.

سرقات علمية فاشلة

ولـضعفه العلمـي وخللـه المنهجـي يلجـأ الـبحيري للـسرقة العلميـة مـن الآخـرين فقـد ادّعـى أنـه أول مـن قـام بكتابـة بحـث حـول زواج الـنبي ﷺ مـن عائـشة في عمـر ثمانيـة عـشر عامـاً أو أكثـر، والحقيقـة إن البحـث الـذي سـبق وأن أشـار إليـه مـسروق برمّتـه مـن بحـث كتبـه دكتـور أمريكـي اسمـه شـانفاز (Shanavas) مـن ولايـة ميتـشجن عـام ١٩٩٩ مـيلادي، وقـد نُـشر هـذا البحـث مترجمـا إلى العربيـة علـى موقـع منتـدى التوحيـد قبـل أن يسرقه البحيري بأربعة أشهر!!

البحيري يسير على خطة خبيثة واضحة:

في مقابلـة مـع الـبحيري سـئل عـن تخوفـه مـن ردة الفعـل الـتي كـان مـن الممكـن أن تقـع لـه بـسبب تجرئـه علـى البخاري ومسلم؟

فكـان جوابـه: انـا مـا ابتـدأت مـع النـاس بالبخـاري ومـسلم، ابتـديت معـاهم بالبرنـامج الأول لـو حـد فـاكر، لأن دول (بمعنى هؤلاء) بالنسبة لي زي كتاب.

في البرنـامج الأول اتكلمـت عـن الـسلفيين بـس، عـن الـسلفية بـشكلها وأفكارهـا اللـي هـو ٢٠١٣ كـان لـه الإخـوان في الحكـم، فقلـت للنـاس: إن العيـب في ذيـل السمكة علشان يفهموا بالراحة.

بعـدين بعـد كـده في البرنـامج التـاني قلـت لهـم العيـب في راس الـسمكة عـشان يتقبلـوا فكـرة إنـو العيـب مـش في تطبيـق الـسلفية العيـب في الكتـب اللـي عنـد الـسلفية اللي هي **كتب الإسلام المعتمدة**).

فالمـسألة عنـده واضـحة ومجـرد تـدرج في الطعـن والتـشكيك في الـدين، فقـط حتـى يـستطيع أن يـصل إلى المرحلـة التي مـن خلالهـا يـستطيع أن يـسقط كتـب الـتراث الـتي هـي كتـب الإسـلام المعتمـدة. فالتـدرج والتـشكيك والتفكيـك بزعمـه طـرق لإيـصال المعلومـة بأيـسر مؤنـة وأقل تكلفة.

وفي برنامجـه (مـع إسـلام الـبحيري) قـال: (لازم عـشان تفسد عقـل مـن آمـن تـشككه في اللـي بقـول **لأن الـشك هـو الـصح هـو الـيقين**، أنـا مـش عـايز الـتراث ولا بغرائبـه ولا بتوسـعه ولا بـضيقه، ده لازم يُحـال للاسـتيداع مـن حياتنـا، لازم يدفن دفنا، هذا التراث يهدم نقضا بالضاد).

فخطتـه الخبيثـة إدخـال مـنهج الـشك الـديكارتي

الـذي كـان منهجـا أصـليا في معاملـة الـتراث الإسـلامي عنـد أعـداء الإسـلام مـن المستشرقين كـشاخت وهيـوم وغيرهما.

مـسيرة التـدرج للطعـن في الثوابـت والأصـول الشرعية

بُغـض إسـلام الـبحيري للـسنة والإسـلام قـديم ولـيس حادثـاً في الـسنوات الأخـيرة، فقـد كـتب في جريـدة اليـوم الـسابع بتـاريخ ٢٠٠٨/١٠/١٦ تحـت عنـوان: ليـست محاولـة للتـشكيك في البخـاري ومـسلم ولا العلمـاء الأوائـل: (زواج الـنبي مـن عائـشة وهـي بنت تـسع سـنين كذبـة كـبيرة في كـتب الحـديث). فتـبرأ هنـا مـن محاولـة التـشكيك ابتداءً، ولكـن هل استمر في طريقه أم توقف؟؟!

الملاحـظ والمتـابع لمقـالات الـبحيري يجـد أنـه أحـاط مقالـه الـسابق ذكـره بعـدد مـن المقـالات الـتي تـتكلم عـن خطـأ (بزعمـه) هنـا، أو خطـأ (بزعمـه) هنـاك وقـع فيـه البخاري ومسلم.

وكـان كـثيرا مـا يـستخدم عبـارات غايـة في الـسوء والـسخرية للطعـن في أحاديـث رواهـا البخـاري ومـسلم أو غيرهمـا كمثـل قولـه: (وهـذا لـيس دلـيلا علـى شـيء فاجتمـاع البخـاري ومـسلم **علـى روايـة مخزيـة** كـتلـك لا يقويهـا، وافتراقهـم لا يـضعفها لأنهـا أصـلا فاسـدة المـتن – النص-) أ.هـ.

ولم يكتـفِ الـبحيري بـالهجوم علـى صـحيحي البخـاري ومـسلم وكـتب الـسنن بـشكل عـام بـل وهـاجم كـتب الفقـه في غـير مـا مقالـة منهـا مـا عنونـه بـ «إشـكالية تقـديس الفقـه» الـتي أكثـر فيهـا مـن الطعـن في الفقـه الاسـلامي ومذاهبـه، ومقالـه الآخـر المعنـون «كـتب الـتراث ليـست مقدسـة»، بـل لم تـسلم منـه كـتب التفـسير كمـا في مقالـه «الإسـرائيليات في كـتب الحـديث والتفـسير» وفي غيرهـا، وكـان مـن أواخـر تدرجاتـه ولـيس آخرهـا أن وصـف كـتب الـتراث الاسلامي بالكتب العفنة.

الخلاصـة: إسـلام الـبحيري اسـتخدم مـنهج التـدرج التـشكيكي في إضـعاف علاقـة عـوام النـاس بتراثهـم مـع افتقـار العـدد الكـبير مـن متابعيـه لأبـسط قواعـد البحـث العلمي الصحيح.

من بلاوي البحيري:

- **لعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما!!**

قـال الـبحيري في إحـدى حلقاتـه: (**إللـي عـايزين يرجعـوا الخلافـة، الخليفـة اللـي سـقط، لعنـة الله علـى الخلافـة وأي خليفـة**). مـن المعلـوم أيـضا أن الـبحيري انتقـد مواقـف الـصديق أبـي بكـر رضـي الله عنهـا، فقـد انتقـد وبـشدة موقفه من قتال المرتدين.

تشجيع الشباب على الردة!

اسـتغل بعـض الكـلام مـن هنـا وهنـاك في محاولـة لنقـد حـديث «مـن بـدل دينـه فـاقتلوه»، والحقيقـة أن الموضوع ليس برمته في أيديولوجية إسلام البحيري.

بـل هـي أوسـع مـن هـذا، فالمبحـث ان الـبحيري يريـد أن يقنـع شـباب الأمـة أن الإسـلام أعطـاهم مـساحة مـن التفكير للخـروج عـن هـذا الـدين، يقـول: (هـو مـش عـشان النـاس تخـرج، إحنـا مـش عـاوزين نقـولهم اتفـضلوا اخرجـوا مـن الإسـلام، أو إنـت براحتـك، بـس هـو الحقيقـة إن الإسـلام هـو بقـولهم براحتـك، دي علاقـة تعاقديـة فأنـت مـسلم مـش عـايز الإسـلام إيـه المـشكلة ده كـلام عقلانـي)، فـالخروج عـن الإسـلام كـلام عقلانـي في أيديولوجيـة الـبحيري، والـتي هـي دعـوة للـردة بأسـلوب عصري.

خلاصة لما يريده البحيري:

أولا: تنحيـة الـشريعة الإسـلامية عـن الحكـم، وإلغـاء فكـرة قيـام دولـة إسـلامية، بـل وحتـى تـسمية الإسـلام كمصدر أساسي وتشريعي للدولة.

ثانيـا: إسـقاط حجيـة كـتب الـشريعة مـن التفـسير والفقـه وشـروح الأحاديـث، والتعامـل معهـا كمـصدر قلـق لابد من نسفه والقضاء عليه.

ثالثـا: الطعـن في جيـل الـصحابة والتـابعين وعلـى رأسهم أبو بكر وعمر.

رابعـاً: محاولـة إلـصاق تطـرف بعـض الجماعـات بكـتب الـتراث ككـل، كقولـه إن كـتب الـتراث داعشية بامتياز.

خامسـاً: نـشر التـبرج والـسفور بـين المـسلمات وإنكـار فرضـية الحجـاب وجـواز كـشف المـرأة لـشعرها أمـام الاجانب، وغيرها الكثير.

هـذه محاولـة لرصـد بعـض تـشغيبات إسـلام الـبحيري ولـيس المـراد منهـا جمـع كـل تـشغيباته فهـي أكثـر مـن أن ترصد في مقال، ويكفي اللبيب الإشارة.

دول ابتلعتها إيران

سلسلة تتناول البلدان والأقاليم التي احتلتها إيران حديثا وجعلتها ضمن دولتها، والمعاناة التي تكبدتها الشعوب جراء ذلك، وطرق مقاومتها للاحتلال الإيراني

هيثم الكسواني(*) – خاص بـ «الراصد»

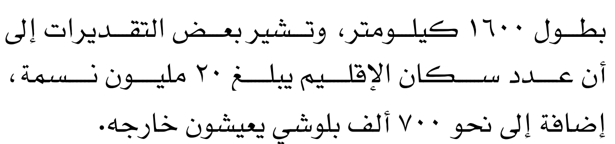
٢- بلوشستان

احتلت إيرانُ إقليمَ بلوشستان في الثلث الأول من القرن الماضي، لكن ينبغي التنويه هنا (وكما سبق أن نبّهنا في الحلقة السابقة الخاصة بالأحواز) إلى أن هذا الاحتلال، وإن كان قد سبق قيام الثورة الخمينية ودولة الملالي سنة ١٩٧٩م، إلاّ أن دولة الملالي لم تبادر إلى تصحيح الأخطاء أو الخطايا التي اقترفتها الدولة التي سبقتها، والتي ثارت عليها بحجة أنها دولة ظالمة لا تلتزم شرع الله عز وجل، ولم تبادر إلى نصرة المظلومين والمستضعفين كما زعمت ثورتُها والشعارات التي أطلقتها، بل على العكس من ذلك تماما، إذ رسّخت احتلالها لبلوشستان، ولغيرها من الأقاليم والبلدان، ونهبت خيراتها، وأمعنت في مسخ هويتها، واضطهاد أهلها وإذلالهم.

وسيجد القارئ الكريم الكثير من النقاط المشتركة بين احتلال إيران للأحواز ولبلوشستان، ولا غرابة في ذلك، فالمحتل هو ذاته، وعقلية المحتل هي ذاتها، والظروف الدولية – آنذاك- هي ذاتها.

نبذة تاريخية وجغرافية

يقع إقليم بلوشستان إلى الجنوب والجنوب الشرقي من إيران، على الحدود مع باكستان وأفغانستان شرقا، وعلى حدود الإمارات وعُمان غربا، وهو الآن مقسّم بين إيران وباكستان وأفغانستان. وبلوشستان إقليم شاسع، تصل مساحته إلى ٧٨٠ ألف كيلومتر مربع، ويمتد شريطه الساحلي من مضيق باب السلام (هُرمز) حتى مدينة كراتشي في باكستان



بطول ١٦٠٠ كيلومتر، وتشير بعض التقديرات إلى أن عدد سكان الإقليم يبلغ ٢٠ مليون نسمة، إضافة إلى نحو ٧٠٠ ألف بلوشي يعيشون خارجه.

وتذهب بعض الآراء التاريخية إلى أن البلوش ينحدرون من عرب اليمن، وقد هاجر أحد أجدادهم إلى بلوشستان سنة ٣٠٠ قبل الميلاد، وهم في طبائعهم وأخلاقهم أقرب إلى القبائل العربية منهم إلى الفرس أو الهنود.

أما الفتح الإسلامي لبلوشستان فقد بدأ في عهد

(*) كاتب أردني.

الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، واستمر في العهد الأموي، والبلوش مسلمون سُنة، وهذا ما يفسر ازدياد تسلط النظام الإيراني عليهم، كما سيأتي بيانه، وهم يتحدثون اللغة البلوشية مع لهجات أخرى.

واحتلت بريطانيا بلوشستان (واسمها القديم: مكران) سنة ١٨٣٩م، واحتلت إيرانُ الجزء الغربي من الإقليم سنة ١٩٢٨م، فيما بات يعرف بعد ذلك بـ "بلوشستان إيران"، وهذا الجزء تبلغ مساحته ٢٤٧ ألف كيلومتر مربع، وبعد احتلالها لبلوشستان، بعثرت إيران البلوش في ٣ محافظات هي: سيستان وبلوشستان، وهرمزكان، وكرمان، لكي تفرق بينهم وتقضي على قوتهم ووحدتهم، كما فعلت مع الأكراد أيضا عندما بعثرتهم في ٤ محافظات، وكذلك العرب في ٣ محافظات.

وتعتبر محافظة سيستان وبلوشستان ثالث أكبر محافظة في إيران، وعدد سكانها ٣ ملايين نسمة، وعاصمتها زاهدان، فيما تعتبر مدينة "زابُل" ثاني أهم مدن المحافظة.

والبلوش هم أحد مكونات ما يعرف بالشعوب غير الفارسية في إيران، أو الشعوب المقهورة في إيران، إضافة إلى عرب الأحواز والأكراد والتركمان، وغيرهم من المكونات التي تعاني الاضطهاد والتهميش.

أسباب احتلالها

١- يعتبر الموقع الاستراتيجي، والثروة المعدنية والبحرية والزراعية والحيوانية الضخمة التي تحتويها بلوشستان، ومصادر الطاقة والمناجم والسواحل، وثراؤها التاريخي من أهم الأسباب التي دفعت إيران لاحتلالها.

٢- الطموحات المتزايدة لرضا خان، ملك إيران ورئيس وزرائها قبل ذلك، وحصوله على الضوء الأخضر من بريطانيا، التي كانت تمثل القوة الاستعمارية الأولى آنذاك، ومن أسباب ذلك انتصار الثورة البلشفية الشيوعية في روسيا سنة ١٩١٧م، ما دفع بالقوى الغربية وخاصة بريطانيا إلى تغيير استراتيجيتها تجاه المنطقة، حيث أخذت تؤيد وجود كيان إيراني قوي وموحد يشكل حاجزا استراتيجيا أمام الشيوعيين الروس ومحاولاتهم الوصول للمياه الدافئة.

كيفية احتلالها

احتلت إيران الجزء الغربي من مملكة بلوشستان في ١٩٢٨/١/٥م في عهد الطاغية رضا شاه بهلوى بحملة عسكرية همجية على بلوشستان بمؤامرة مع بريطانيا، بعد مجازر بحق الشعب الأعزل في مواجهة قوة السلاح والعتاد الفارسي، وإعدامها حكام وشيوخ مناطق ومدن بلوشستان وعلى رأسهم حاكم بلوشستان الغربية الأمير دوست محمد باركزئى، بعد رفضه توقيع تسليم بلوشستان والاستسلام، وبذلك أحكمت سلطات الاحتلال على بلوشستان إلى وقتنا الحاضر.

مقاومة الاحتلال

لم يقف الشعب البلوشي مكتوف اليدين إزاء الاحتلال الإيراني لبلاده، بل لعلّ جبهة بلوشستان هي أكثر جبهة مشتعلة، وتكبّد القوات الإيرانية الخسائر المادية والبشرية، وفي حين نهج بعض أبناء بلوشستان إيران النهج السلمي في المعارضة، رأى آخرون أن نظام الملالي لا يرتجى منه خير، ومسيرته في القمع والإقصاء والعنف خير شاهد على ذلك.

وأسس الصنف الثاني عدة أحزاب وتنظيمات مسلحة لمقاومة الاحتلال الإيراني وحماية أهل السنة في بلوشستان، وتتنوع توجهات هذه التنظيمات ونظرتها إلى الجمهورية الإيرانية، بين من يطالب بالاستقلال عن الكيان الإيراني، وتحقيق استقلال بلوشستان، وبين من يريد إقامة نظام فيدرالي وحكم ذاتي في إطار الدولة الإيرانية، كي يتمكن البلوش من الاستفادة من خيرات بلادهم التي نهبها النظام الإيراني، وبالتالي تحسين أوضاعهم المعيشية، إضافة إلى حماية كيان أهل السنة وعقيدتهم التي يحاربها هذا النظام.

وتعتبر جماعة "جند الله" أبرز تنظيم سنّي مسلّح في بلوشستان إيران، وقد دأب على تنفيذ عمليات نوعية ضد قادة وأفراد الحرس الثوري الإيراني، ومنتسبي قوات الأمن الإيرانية، إضافة إلى خطف بعضهم لمبادلتهم بالمعتقلين السنة من أهل بلوشستان في سجون النظام، وإزاء ذلك شنّت قوات النظام حملة ضد الجماعة وأفرادها، وتمكّنت من اعتقال زعيمها عبد المالك ريغي، ثم إعدامه في يونيو /

حزيران ٢٠١٠م، لكنّ تلك الخطوة لم تقضِ على الجماعة، إذ ما زالت ناشطة في محاربة الحرس الثوري الإيراني.

ومن التنظيمات المسلحة أيضا: جيش العدل، وجيش النصر، وجبهة تحرير بلوشستان، وجيش تحرير بلوشستان، وفدائيو الإسلام، وجماعة أنصار الفرقان.

ومن أجل تشويه المقاومة، تعمل إيران دائما على ربطها بتنظيم القاعدة أو داعش أو حركة طالبان، أو بتجار المخدرات الذين ينشطون في بلوشستان.

ممارسات إيران العنصرية والقمعية في بلوشستان

١- دفع البلوش إلى التشيع، حتى أن بعض المحكومين بالإعدام يتم تخفيف العقوبة عليهم أو العفو عنهم إذا أعلنوا تشيعهم.

٢- مسخ هوية الإقليم، وتغيير أسماء بعض مناطقه، وإبدالها بأسماء فارسية.

٣- هدم مساجد أهل السنة في بلوشستان ومدارسهم، ومِن ذلك قيام سلطات الاحتلال الإيراني في ٢٠٠٨/٨/٢٨م، بهدم مدرسة الإمام أبي حنيفة في مدينة زابل، وهذه المدرسة هي فرع من جامعة دار العلوم الإسلامية في زاهدان، وفيها أكثر من ٦٠٠ طالب، ففي ذلك اليوم أحاطت بمبنى المدرسة أكثر من ٨٠ سيارة تابعة للشرطة وعناصر قوات "الباسيج" الإيرانية المسلحة، وقامت باعتقال الأساتذة والكثير من الطلبة الموجودين فيها، واستولت على كل ما في غرف النوم وصفوف الدرس من أمتعة وأثاث ونقلتها إلى أماكن مجهولة ثم شرعت بتدمير الغرف والصفوف وتسويتها بالأرض تمامًا باستخدام الجرافات. وما ذكرناه آنفا هو مثال واحد فقط على المدارس والمساجد التي هدمتها إيران في بلوشستان.

٤- إعدام واغتيال علماء أهل السنة ودعاتهم بعد تلفيق التهم لهم، من قبيل دعم الإرهاب، ولقد قتلت إيران عددا كبيرا من هؤلاء الدعاة، ونكتفي هنا بذكر الدكتور أحمد ميرين سياد، رحمه الله، فهو أول إيراني حصل على الدكتوراه من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وأحد العلماء المتخصصين في الحديث، وقد استشهد سنة ١٩٩٦م، وكذلك الشيخ علي دِهواري (أحد خريجي الجامعة الإسلامية) الذي اغتالته عناصر الأمن الإيرانية في شهر تشرين الثاني / نوفمبر سنة ٢٠٠٨، أمام بيته، بعد خروجه من صلاة المغرب، ولم يتم إلقاء القبض على الجناة. ومن العلماء الذين أعدمتهم إيران: الشيخان عبد القدوس ملازهي ومحمد يوسف سهرابي، وكان ذلك في شهر نيسان/ أبريل ٢٠٠٨، بعد أشهر على اعتقالهما.

٥- تهجير أبناء بلوشستان من مناطقهم، وجلب مستوطنين فرس وشيعة لخلخلة التركيبة الطائفية.

٦- تهميشهم في الوظائف والمناصب، إذ على الرغم من وجود بعض النواب والمسؤولين المحليين إلاّ أنه لا يوجد بينهم وزير ولا سفير ولا مسؤول ولا محافظ ولا قائد عسكري، كما أن المناصب الرئيسة في الوزارات والمؤسسات الكبرى، بل والموظفين، هي من نصيب الشيعة الفرس.

٧- تصوير الإعلام الإيراني البلوش بصورة الهمج المتوحشين! بل أكثر من ذلك، إذ تمّ تصميم حذاء في غاية القبح في إيران باسم "البلوش".

٨- لم يكتف النظام الإيراني بالتضييق على البلوش في الداخل واستهداف رموزه، بل اتجه أيضاً إلى استهداف قيادات المعارضة البلوشية في الخارج، والتضييق عليها وتهديدها.

٩- ضعف الخدمات الصحية والتعليمية وإهمال الإقليم إهمالا تاما برغم غناه بالثروات الطبيعية، فبحسب الأرقام الرسمية فإن ١٢٠ ألف طالب وطالبة في المحافظة لم يصل إليهم التعليم، وتعد محافظة بلوشستان الأكثر فقراً من بين محافظات البلاد حيث تتجاوز نسب الفقر ٥٠٪، والبطالة كذلك، وحصة المحافظة من الميزانية العامة للدولة تعد الأقل من بين جميع المحافظات الإيرانية على الرغم من أن المحافظة تعد ثالث أكبر محافظة في البلاد.

١٠- فرض قيود كبيرة على الصحف المحلية في المحافظة فهي معطلة أو شبه معطلة في جميع مدن بلوشستان ويخضع ما ينشر منها لرقابة صارمة ومباشرة من قبل الحرس الثوري الإيراني، كما أنه

لم ينشر أي كتاب في دور النشر الموجودة في المحافظة.

١١- منع تواصل أهل السنة مع إخوانهم في العالم الإسلامي، كما في منع السلطات الأمنية الإيرانية الشيخ عبد الحميد إسماعيل زهي، رئيس جامعة دار العلوم في زاهدان، من السفر إلى مكة المكرمة للمشاركة في مؤتمر لرابطة العالم الإسلامي، بحضور شخصيات إسلامية عالمية. في بداية عام ٢٠١٦م، كما تكرر المنع قبل ذلك.

١٢- حرمان البلوش والشعوب غير الفارسية من التعلم بلغتها، وتعلم ما يتعلق بمذهبها.

الدور الإسلامي في قضية بلوشستان

لا يتسم الدور الإسلامي في قضية بلوشستان بالضعف فقط، وإنما بالتواطؤ أحيانا، فإذا كانت دولتان إسلاميتان، هما باكستان وأفغانستان، تقتسمان جزءا من أراضي بلوشستان، شأنهما شأن إيران، فإننا لا نتوقع أن تهبّ هاتان الدولتان الجارتان - مثلاً- لنصرة البلوش وقضيتهم ومساعدتهم في التخلص من الاحتلال الإيراني لبلادهم.

وإذا كان احتلال بلوشستان قد جاء في وقت كانت فيه معظم البلدان الإسلامية واقعة تحت الاستعمار، وتعاني من الضعف الشديد، فإنه ليس من المبالغة القول بأن معظم المسلمين، ورغم مرور قرابة ٩٠ عاما على احتلالها من قبل إيران، لم يسمعوا ببلوشستان وقضيتها ومعاناة أهلها.

إن المطلوب أن تتبنى الدول الإسلامية رسميا قضية بلوشستان، وإنْ سبّب ذلك لها الإحراج مع باكستان وأفغانستان، لاسيّما وأن الاحتلال الإيراني فاق في مساوئه كلّ احتلال، ويمكن للمسلمين الاستفادة من المقاومة المتصاعدة للاحتلال الإيراني في بلوشستان، ودعمها بالمال والسلاح، وقبل ذلك دعمها من خلال الإعلام، وتعريف المسلمين والعالم بها، وأنها مقاومة مشروعة، وإن خالطها بعض الأخطاء، وأنها تهدف إلى التخلص من احتلال أجنبي، ومساعدة البلوش في الحصول على استقلالهم وتقرير مصيرهم.

وفيما يتعلق بالإعلام، يذكر الناشط السياسي المعروف الشيخ أبو منتصر البلوشي أنه يأتي في مقدمة ما يجب على الخليجيين أن يقوموا به لدعم أهل السنة في إيران إذ يقول: "الدعم الأهمّ والأول يتمثل في إنشاء محطات إعلامية فضائية باللغة الفارسية، توجّه إلى إيران، فوالله إنها لتفعل فعل السحر في تلك البلاد، التي ستحفظ من جهة إخوتنا من القوميات العربية السنية من الذوبان في القالب الصفوي الفارسي، ومن جهة أخرى سيتستنّن كثيرون من عقلاء الشيعة عندما تتبيّن لهم الحقائق، وتدحض الشبهات والمقولات الباطلة التي يغذيها الإعلام الإيراني ويشوّه بها أهل السنة ومذهبهم، وكذلك الساسة العرب".

ويمكن للدول الإسلامية إثارة قضية بلوشستان من خلال المنظمات الدولية المختصة كمنظمة المؤتمر الإسلامي، ويمكن – وبسهولة شديدة- إثارة انتهاكات إيران الواضحة من قتل الأبرياء وهدم المساجد والمدارس ومصادرة الأراضي وتهجير أهلها أمام الرأي العام ومنظمات حقوق الإنسان، وإن ذلك من شأنه أن يخدم الدول الإسلامية والبلوش على حد سواء، ويعرّي إيران وسياساتها وأطماعها في المنطقة.

وممّا يمكن للدول الإسلامية عمله زيادة التواصل مع أبناء بلوشستان المقيمين في إيران، وربطهم بالعالم الإسلامي وأهل السنة، وتقديم المنح الدراسية لهم، وتسهيل قدومهم لأداء الحج والعمرة، وينبغي للدول الإسلامية أن تقوم بكل ما سبق، وغيره كثير، دون خوف من إيران، وأن يكون المسلمون في موقف الهجوم بدلا من الدفاع وتلقي الضربات، لا سيّما وأن إيران تستبيح الكثير من بلادهم بتدخلاتها وميليشياتها العميلة وخلاياها النائمة والمتيقظة.

أهم المراجع

مواقع وصحف ومجلات ومنتديات: الراصد، الإسلام اليوم، سُنّي أون لاين، شؤون إيرانية، أهل الحديث، مفكرة الإسلام، الوطن السعودية، مدونة أخبار البلوش وبلوشستان، الشرق الأوسط، العربية نت، ويكيبيديا، المجلة، أخبار الخليج البحرينية، مركز بلوشستان للدراسات البلوشية، البرهان.





الاختراق الإيراني لأفريقيا العربية... مدخل للفهم

أسامة الهتيمي(*) - خاص بالراصد

عُرفت القارة الإفريقية ومنذ قرون بأنها القارة المسلمة بعد أن انتشر فيها الإسلام بشكل سريع منذ السنوات الأولى للدعوة الإسلامية بل إنها تعرفت على هذا الدين الحنيف ووصلتها دعوته قبل أن تصل المدينة المنورة في شبه الجزيرة العربية حيث كانت هجرة المسلمين الأولى – نحو ٨٣ رجلاً فضلا عن النساء والأطفال - إلى الحبشة وهي الهجرة التي كان لها عميق الأثر بالنسبة للجماعة المسلمة في مكة المكرمة.

وظلت القارة الإفريقية طيلة هذه القرون متشبثة بإسلامها الصافي والنقي على الرغم من كل ما تعرضت له من محاولات استهدفت تعكير هذا النقاء، واستغلالها عبر شعارات زائفة لتوريطها في صراع سياسي لتحقيق حلم شعوبيين أبوا إلا أن تكون قيادة الأمة في أيديهم حتى لو كان ذلك على حساب ما يفترض أنه المعنى الحقيقي للدين الإسلامي فنجحت القارة وعبر تاريخ طويل من صراعات ممتدة على أرضها في أن تؤكد مرارا وتكرارا عودتها لتمسكها بصحيح الدين وأنها في تمام اليقظة تجاه محاولات استغفالها بدعاوى حب آل البيت بعد أن تكشف أن ذلك شعار زائف لا يسعى رافعوه إلاّ إلى تحقيق طموحاتهم التوسعية على أنقاض ما بذله أصحاب الدين الحق من تضحيات، فبدا وكأنهم معول هدم، لا بناء أو دعوة.

ولعلنا نجد في كل من الدولة الإدريسية والدولة الفاطمية الشيعيتين ما يؤكد ما ذهبنا إليه فعلى الرغم من تمكن هاتين الدولتين من حكم مناطق عديدة من القارة الأفريقية ولفترات زمنية ليست بالقليلة سعت خلالها الدولتان إلى نشر المذهب الشيعي بين سكان هذه المناطق إلا أن مسلمي هذه البلدان عادوا ليتشبثوا بمذهب أهل السنة والجماعة بل ويشاركوا وبكل قوة في مواجهة محاولات نشر التشيع الذي رأوا فيه الكثير من المخالفات الصريحة والانحراف والبعد عن صحيح الإسلام.

غير أنه وبعد أن انتصرت ثورة الخميني الفارسية على شاه إيران عام ١٩٧٩م ومن ثم تمكن الخميني وأنصاره من تولي مقاليد الأمور في إيران عادت من جديد أحلام الهيمنة والسيطرة عبر ما أعلنه الخميني نفسه من تصديره لما يسمى بالثورة الإسلامية، لكنها هذه المرة رفعت شعارات الاستقلال من الهيمنة والاستبداد الغربي وتنمية روح المقاومة لدى الشعوب الإسلامية والصمود أمام الولايات المتحدة الأمريكية التي أطلقت عليها لقب «الشيطان الأكبر» وهي شعاراتبراقة تتفق في كثير منها مع روح الإسلام الذي يرفض الظلم والجور ويسعى إلى تعبيد الناس لله رب العالمين غير أنها لم

(*) كاتب مصري.

تكـن لـدى هـؤلاء إلا وسـيلة خـداع تـستهدف الاسـتقطاب وتقوية معـسكر الهيمنة الجديـد الـذي مـا أن وجـد في التحـالف مـع «الـشيطان الأكـبر» وأنـصاره مـن سـبيل حتـى سـارع إلى سـلوكه كمـا هـو الحاصل الآن بعد توقيع الاتفاق النووي.

والحقيقـة أن الخطـة الخمينيـة لتحقيـق الهـدف لم تقـصر في بـدء التنفيـذ منـذ العـام الأول بعـد الإطاحـة بالـشاه حيث نجحت بـشكل كـبير في أن تخـدع الكـثير مـن النخـب الإسـلامية - فكريـة وتنظيميـة- في العديـد مـن البلـدان العربيـة والإسـلامية كـي تتبنـى نفس نهـج الخمـيني وأن تقنـع بـأن النمـوذج الإيرانـي هـو النمـوذج الـذي يجـب الاحتـذاء بـه إذ أحسن الخمـيني ورجالاتـه اسـتغلال الحالـة الـسياسيةالمزرية الـتي كانـت عليهـا أغلـب البلـدان العربيـة والإسـلامية والأوضـاع المتردية الـتي تعانيهـا الحركـة الإسـلامية في هـذه البلـدان ومعانـاة رجالاتهـا الأمـر الـذي كـان لـه انعكاسـه الـسريع فيمـا يتعلـق بالتمهيـد لأن تحـدث الكـثير مـن الاختراقـات الإيرانيـة في البلـدان المحيطـة لنـشر الأفكار الخمينية والشيعية.

ولـولا الجهـود الكـبيرة الـتي بـذلتها بعـض الشخـصيات والمؤسـسات الواعيـة مـن أجـل فـضح حقيقـة النيـات الإيرانيـة في محـيط البلـدان المجـاورة لإيـران فـضلا عـن انكـشاف سياسـاتها الطائفيـة القميئـة لتواصـلت حالـة الاسـتقطاب داخـل الـصف الـسني إذ أدركـت قطاعـات كـبيرة مـن المخـدوعين أن الأمـر لـيس كمـا تـصوره طهـران وأن لافتـات المقاومـة والممانعـة أكذوبـة كـبرى مـا ترتـب عليـه أن تركـز طهـران علـى أطـراف العـالم الإسـلامي ومنهـا القـارة الأفريقيـة لتحـدث اختراقـات في بلـدانها مـستغلة الأوضـاع الاقتـصادية الـسيئة وحالـة الـسيولة الـسياسية في بعـض البلـدان وهـو مـا سـنحاول أن نرصـد بعـض مظـاهره في عـدد مـن البلـدان الأفريقيـة العربية.

المغرب:

تنطلـق إيـران في تعاطيهـا مـع منطقـة المغـرب العربـي بجملتـه علـى اعتبـار أنهـا منطقـة شـيعية وأن المـذهب الـشيعي كـان راسـخا متجـذرا فيهـا وهـو الأمـر الـذي يتعـارض مـع واقـع المغـرب وشـعبه إذ أنـه ووفـق أعلـى التقـديرات العديـة الـتي تناولتهـا وزارة الخارجيـة الأمريكيـة في تقريرهـا حـول الحريـات الدينيـة في العـالم والـتي أقرهـا عـصام الحـسني أحميـدان أحـد أهـم قيـادات الـشيعة المغاربـة فـإن هـذا العـدد لا يتجـاوز ثمانيـة آلاف شـيعي وهـي بـالطبع نـسبة ضئيلة للغاية مقارنـة بعـدد المغاربـة بجملـتهم الـتي تفوق ٣٣ مليون مغربي!

غـير أن الـشيعة في المغـرب – أيـا كـان عـددهم – يحـاولون أن يـشكلوا «لـوبي ضـغط» ينتـزع لهـم حقوقـا خاصـة ليـست منحـصرة في الحقـوق الـسياسية المتعـارف عليهـا باعتبـارهم مـواطنين، فالدسـتور والقـانون يكفـلان للمـواطنين أن يمارسـوا حريـاتهم وحقـوقهم غـير أن الحريـة المقـصودة هنـا هـي الظهـور بهويـة معينـة والـسماح لفئـة بعينهـا للعمـل علـى نـشر أفكـار خاصـة دون أيـة عوائـق تحـت دعـوى الحريـة وهـي الثغـرة الـتي يـستغلها الكـثيرون –للأسـف- لنـشر أفكـارهم وأطروحـاتهم غاضـين الطـرف عـن أن مثـل هـذه الـدعوة يمكـن أن تـؤدي إلى تهديـد الأمـن القومي لأي بلد وتحدث حالة من عدم الاستقرار.

ومـا أشـرنا إليـه لـيس مـن بـاب الـتجني علـى شـيعة المغـرب إذ تـشير الكـثير مـن تـصريحات وتحركـات قـادتهم إلى أن العمـل قـائم علـى قـدم وسـاق بهـدف الـسماح لهـم بوجـود كيـان سياسـي أو ثقـافي خـاص يمكـنهم مـن خلالـه العمـل وبـشكل فيـه «تمييـز» لتحقيـق مـآربهم الخاصـة وبمـا يتعـارض مـع الدسـتور والقانون.

ففـي حـوار لحميـدان الحـسني القيـادي البـارز في مؤسـسة الخـط الرسـالي لـصحيفة «هـسبريس» المغربيـة قـال: «نعتـبر أنفـسنا عناصـر تنـوير في المجتمـع لمواجهـة الطائفيـة والتطـرف ومعنـيين بكـل القـضايا الـتي تعـني الـوطن والمـواطنين» مـضيفا أنـه سـبق أن شـكلوا لجنـة حـوار سياسـي التقـت بالـدكتور محمـد ضـريف قبـل المـؤتمر التأسيـسي لحـزب الـديمقراطيين

الجدد غير أنهم لم يلتحقوا بالحزب» ومشيرا إلى أنه بعد اللقاء بدأت بعض النخب الحزبية تتواصل معهم بشكل غير رسمي وأنهم في انتظار أن تتشكل لديهم قناعة بالجهة الحزبية التي يرونها مدافعة بحق عن المواطنة وعدم التمييز على أساس المعتقد وقيم التعايش والتسامح.

وكشف الحسني أيضا عن أن لجنة تمثل مؤسسة الخط الرسالي التقت الأمين العام لحزب الديمقراطيين الجدد في المغرب دون أن ينضموا إلى هذه الهيئة السياسية فيما ظهر قبل أسابيع من هذه التصريحات إدريس هاني أحد أشهر وجوه الشيعة بالمغرب في مؤتمر لحزب الحركة الديمقراطية الاجتماعية.

والشاهد في كلام الحسنى هو أن الرجل يتحدث عن مجموع الشيعة باعتبارهم كيانا واحدا وأن انضمامهم لحزب من الأحزاب إنما سيأتي بشكل جماعي وهو بالطبع تقسيم على أساس طائفي وليس على أساس سياسي لا يعكس إيمان هؤلاء بفكرة الانتماء السياسي على أساس أيدلوجي كما هو متعارف عليه في الحياة السياسية في البلدان العربية والتي تدور انتماءاتها حول ثلاثة مدارات « إسلامية – ليبرالية – يسارية» وإنما يعكس رغبة في الحصول على أكبر قدر من الامتيازات التي تسمح لهم باعتبارهم مجموعة طائفية بالتحرك وتشكيل ورقة ضغط لانتزاع حقوق خاصة ومتميزة حتى لو كان ذلك عبر ابتزاز الكيانات السياسية الموجودة بالفعل، فلا يشغل هؤلاء توجه هذا الكيان أو ذاك بقدر ما يشغلهم تحقيق المراد.

وهو ما أكده الحسني في حوار آخر مع موقع «بديل» حيث يقول: إن الشيعة يوجدون داخل جميع الأحزاب المغربية بما فيها أحزاب «النهج الديمقراطي» و«العدالة والتنمية» و«الحزب الاشتراكي الموحد» وداخل جماعة «العدل والإحسان».

ولا تمنع محاولات بعض الكيانات السياسة المغربية استرضاء شيعة المغرب من أن يواصلوا العمل على أن يكون لهم كيان خاص فوفق المثل الشعبي «زيادة الخير خيرين» إذ هم أيضا نجحوا في الحصول على رخصة للعمل من خلال مؤسسة عرفت باسم مؤسسة «الخط الرسالي للدراسات والأبحاث» والتي يعلم الكل أنها شيعية وهي الرخصة التي كانت امتنعت عن إصدارها وزارة الداخلية مرارا فيما أصدرتها المحكمة التجارية هناك.

ورفعت المؤسسة شعارات «التنوير، التغيير، التحرير» فيما أكدت أن من مبادئها احترام وحدة المذهب السني المالكي كاختيار عام وعدم الإضرار به والدعوة لحيادية واستقلالية المؤسسة الدينية الرسمية عن كل الحركات والأحزاب والجماعات وعدم السماح لأفراد التيارات الدينية والسياسية باختراق الحقل الديني الرسمي وتوظيفه لفائدة طرف ضد آخر، وفي نفس الوقت التأكيد على ضرورة احترام حرية المعتقد وضمانه لكافة المواطنين.

وترى المؤسسة أن المذهب حالة فردية وليس مشروعا مجتمعيا يفتت المجتمع عصبيا وطائفيا وبالتالي فلا ينبغي تحويل «الدين» و«المذهب» إلى محددات للهوية الجماعية وقاعدة للعمل المدني والسياسي، والعمل من داخل المجتمع المدني والسياسي بالمغرب حق دستوري وقانوني لكل مواطن مغربي وممارسة العمل المدني والسياسي يتم من خلال المشروع المجتمعي على قاعدة المواطنة لا من خلال الهوية الدينية أو العرقية أو القبلية وهو مثبت في قانون الجمعيات والأحزاب السياسية بالمغرب.

وبالطبع إعلان هذه المبادئ وكما هو واضح يستهدف أمرين:

الأول: إرسال رسالة طمأنة للمجتمع المغربي بأن الهدف ليس طائفيا.

والآخر هو تحقيق حالة من السيولة السياسية التي تسمح لهؤلاء بحرية الحركة ليس لممارسة نشاط سياسي مجرد فحسب بل وللدعوة للمذهب الجديد حتى يتحقق ما يريدون ثم لكل مقام حديث.

ويجدر بنا أن نشير كذلك إلى أن شيعة المغرب يرون في إيران القدوة والنموذج، إذ يقول الحسني: إننا نعتبر إيران تجربة إسلامية رائدة في مجال التحرر والأصالة الإسلامية والاستقلال الحضاري عن الشرق والغرب، وبناء على ذلك فإننا ننظر بكثير من الاحترام لهذه التجربة التي تمثل سندا للحركات التحررية ولقضيتنا المركزية «القضية الفلسطينية» ولا يمكن إلا أن نحترم هذه الدولة.

وهي تصريحات مثيرة ومستفزة ذلك أنها جاءت على الرغم من تكشف الكثير من السياسات الإيرانية التي تتعارض مع الشعارات المرفوعة التي تؤكد أن إيران بعيدة تماما عما يحقق مصلحة الأمة العليا، وأن كل تحركاتها طائفية قحة تثير القلاقل والبلبلة في العراق وسوريا واليمن والبحرين والمملكة العربية السعودية وما خفي كان أعظم. بل إنها تتعارض مع المبادئ المعلنة للمؤسسة نفسها إذ أن مثل هذا القول لا ينسجم مع ما كان قد ذهب إليه العاهل المغربي عندما دعا رابطة علماء المغرب عام ١٩٨٠ لبحث موضوع الخميني حيث أصدرت الرابطة فتوى نارية في حقه تكفره فيها وتدعوه إلى التوبة بعدما خرج بتصريح أثار ضجة في العالم الإسلامي بقوله:«إن الأنبياء جميعا جاؤوا من أجل إرساء قواعد العدالة في العالم، لكنهم لم ينجحوا وحتى النبي محمد ﷺ خاتم الأنبياء الذي جاء لإصلاح البشرية وتنفيذ العدالة لم ينجح في ذلك وإن الشخص الذي سينجح في ذلك ويرسي قواعد العدالة في جميع أنحاء العالم ويقوّم الانحرافات هو الإمام المهدي المنتظر».

تونس:

أما رصد الحالة التونسية فإنه يكشف عن أمر في غاية الخطورة فعملية الاختراق الشيعي لتونس لم تنحصر فحسب في الحياة السياسية أو الثقافية، مع أهمية ذلك، لكنها امتدت إلى ما يعد كارثة أمنية تنذر إن صدقت أقوال شهودها بأن البلاد يمكن أن تدخل أتون صراع عسكري في أية لحظة.

ففي تصريحات صحفية قال عادل العلمي رئيس جمعية الوسطية للإصلاح والتنمية إنه وأعضاء جمعيته قد اخترقوا جمعية تونسية شيعية متواجدة في ولاية قابس على أساس الانتماء إليها وسافروا معها إلى دولة إيران فاكتشفوا أن أبرز نشاطاتهم تتمثل في التدرب على استعمال السلاح فقاموا بتوثيق هذه العمليات.

وأكد العلمي تصريحاته قائلا: إن الجمعيات والأحزاب التي تنتسب إلى الشيعة كثيرة في تونس وتقوم بتظاهرات ورحلات إلى دول أجنبية للتدرب على استعمال السلاح متخفية بالتراخيص الحزبية والجمعياتية.

وفي تصريحات أخرى لفت العلمي إلى أنه تقدم بمذكرة تفصيلية حول ما أشار إليه من اتهامات صريحة وموثقة لكل من وزارة الداخليّة ورئاسة الحكومة ومع ذلك فإن أحدا لم يهتم بالأمر ولم يتم التحقيق فيها وهو ما يشي بأن النفوذ الشيعي في تونس ليس بسيطا بل إنه وصل إلى حد أنه نجح في التغطية على قضية بمثل هذا الحجم والتي كانت تستدعي أن تتحرك الدولة التونسية وعلى أعلى مستوياتها للتحقيق فيها والتأكد من صحة بياناتها.

ربما ووفق الإحصائيات التي أشارت إليها الكثير من المصادر ما زال عدد المتشيعين التوانسة قليلا إلا أن النفوذ الشيعي في تونس فوق قدرات هذا العدد حتى لو افترضنا جدلا صحة ما يدعيه القيادي الشيعي التونسي الدكتور محمد التيجاني السماوي الذي يقول إن أعدادهم تقدر بمئات الآلاف فإن هذا العدد لا يحول على الإطلاق أن يتم غض الطرف عن هذه القضية.

أما فيما يخص العمل السياسي فإن شيعة تونس كغيرهم يسعون إلى التواجد السياسي وإحداث التأثير بشتى الطرق وهم لا ينكرون ذلك بل إن

بعضهم لا يتردد في أن يعرب عن استيائه من أن ذلك لم يحدث بعد ومن ذلك ما عبر عنه زعيم الشيعة في تونس مبارك بعداش حيث أشار إلى أنهم يعيشون تشتتا بين مختلف ولايات الجمهورية الأمر الذي جعلهم غير موحدين ولم يتمكن تيار الشيعة من توحيد صفوفه وقراراته فيما يتعلق بمستقبله السياسي في البلاد.

ولا ينكر بعداش أيضا أن الشيعة في تونس يتحركون وكأنهم كتلة موحدة إذ أوضح أنه وصَلته منذ شهرين مطالب للتحالف مع بعض الأحزاب أو تأمين أصواتهم لحزب معين في الانتخابات القادمة الأمر الذي يعني أنهم يتحركون بشكل جماعي ما يعد تحديا صارخا للدستور والقانون الذي يرفض التمييز على أساس ديني أو مذهبي أو عرقي فيما يخص التكوينات والتنظيمات السياسية.

بل إنه وبلهجة حاسمة عقّب على ذلك مؤكدا أنهم كتيار للشيعة لن ينضموا إلى أي حزب وهمّهم الوحيد هو جمع شملهم ومن ثم سيفكرون في المشاركة في الانتخابات.

وكعادة الشيعة في العديد من البلدان في تقسيم الأدوار ففي حين يؤكد التيجاني أنه ليس للشيعة مطالب في تونس فلا هم يريدون مسجدا أو حسينية أو صحيفة يرى السيد عماد الدين الحمروني غير ذلك إذ يرى أن شيعة تونس يهمهم الشأن الوطني ويتدخلون فيه بل يشير إلى أن التونسيين المنتمين إلى مدرسة أهل البيت ومنذ الثمانينيات من القرن الماضي متواجدون على الساحة الوطنية وشاركوا مشاركة فاعلة في إسقاط النظام البورقيبي.

لكن وبعد تأمل سريع لموقف الدكتور التيجاني تكشف أن الرجل يصرح بما صرح به لسببين أساسيين يتسقا مع منهج الشيعة إذ يرى التيجاني أنه ليس معقولا أن تطرح كل مطالب الشيعة الآن فالأمور وحسب قوله تجري رويداً رويداً وأنه لا يتدخل في شؤون الحكم والحكام حيث لديه مهمة أسمى من ذلك بكثير ألا وهي تقديم النصيحة وكشف الحقيقة فضلا عن أن التيجاني يعتقد – وفق ما لديه من معلومات - أنه ليس هناك أي عائق يعترض التشيع في تونس على شرط أن تكون الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يتم تجنب التعرض للنظام القائم ولا يتم التآمر عليه.

وما عبر عنه التيجاني من مبررات ربما يصدقه الواقع ذلك أنه معلوم لدى الجميع تلك العلاقة الوثيقة بين حركة النهضة التونسية وبين إيران حتى أن الحركة أيّدت وبشكل كامل الاتفاق الذي وقعته وزيرة السياحة التونسية مع الجانب الإيراني وهو الذي أبدت الكثير من الأطراف التونسية تخوفها منه على اعتبار أنه تهديد للأمن القومي التونسي.

لكن وبعيدا عن تصريحات المتشيعين أنفسهم فقد كشف العديد من المتابعين والمراقبين التونسيين عن أن إيران وفي أعقاب الثورة التونسية عام ٢٠١١ صعّدت من نشاطها لنشر التشيع وأن المركز الثّقافي الإيراني في تونس هو الجهة المسؤولة عن تمويل وتنظيم هذا المدّ حيث توجد بعض الجمعيّات والأحزاب والصّحف الشيعيّة المندسّة في المجتمع المدني على غرار الرّابطة التونسية للتّسامح وحزب الوحدة وجريدة الصّحوة.

موريتانيا:

بغض النظر عن اللغط الذي أثير مؤخرا حول انتشار التشيع في موريتانيا ورغبة في عدم الاستجابة لمحاولات التهويل أو التهوين من هذا الانتشار إلا أن الثابت الذي لا يمكن أن ننكره أن إيران بالفعل تتحرك في كل الاتجاهات حتى يكون لها موطئ قدم في كل بلد عربي ومسلم ومن ثم فإن موريتانيا ينطبق عليها ما هو جار على كل البلدان العربية والإسلامية التي اخترقتها الأيادي الفارسية الإيرانية.

وفضلا عن ذلك فإن ثمة شواهد عديدة أشارت إليها مصادر موريتانية تؤكد أنه أصبح يوجد بالفعل العديد من المكونات السياسية الموريتانية التي باتت متأثرة بدرجة كبيرة بإيران تتحرك وفق أهوائها وتدافع عن توجهاتها وذلك عبر طريقين

أحدهما الاستقطاب المذهبي والذي نجح في إقناع بعض رجالات الحياة السياسية والثقافية بالتشيع، أما الآخر فعبْر الاستمالة بالمال الكثير.

ولعل ما تناقلته بعض المواقع والصحف العام الماضي حول مصادرة المملكة المغربية لنحو ١٠٠ ألف دولار قام بتحويلها القيادي الشيعي الموريتاني الشيخ بكار ولد بكار محمد على أحد بنوكها وذلك خلال زيارته لإيران يؤكد ذلك إذ كان مبرر المخابرات المغربية لسحب المبلغ هو تلقي تمويلات خارجية إرهابية من إيران.

وعلى الرغم من أن بكار لم يقدم مبررا لتلقي هذه الأموال وتحويلها على حسابه الخاص إلا أن بكار لم يعدم أن يجد من يقف بجواره ويدعمه من الأحزاب الموريتانية حيث شكل أربعة أحزاب جبهة للدفاع عن بكار ضمت السياسي الموريتاني المعروف الشبيه ماء العينين وهو نفس التحالف الذي ندد بعملية عاصفة الحزم التي قادتها المملكة العربية السعودية ضد الحوثيين في اليمن وهو الموقف التي يتوافق مع إيران وحلفائها.

ومن الشواهد أيضا تلك الزيارة التي قام بها العام الماضي أيضا الشيعي اللبناني محمد قانصو لموريتانيا والتي اعتبرها الكثير من المراقبين مؤشرا على تطور المد الشيعي بموريتانيا حيث شملت الزيارة لقاءات مع مسؤولي أحزاب سياسية صغيرة معروفة بعلاقتها بالنظام السوري مثل رئيس حزب الوحدوي الديمقراطي الذي يقوده محفوظ ولد اعزيزي فيما أشرف قانصو على تدشين مدرسة قرآنية صغيرة باسم الزعيم الروحي لشيعة غرب أفريقيا عبد المنعم الزين الأمر الذي فجر غضبا كبيرا لدى الأوساط الدينية ما دفع السلطات الأمنية لإجراء تحقيقات مع بعض مستقبلي الشيخ الشيعي.

وتطرح زيارة قانصو ولقاءاته السياسية سؤالا هاما حول أعداد الشيعة ومدى التوغل الشيعي في موريتانيا وهل همبالفعل كما أشارت بعض المصادر الإعلامية نحو ثلاثين ألف شيعي أم أن هذا الرقم مبالغ فيه وفق ما أكدت وزارة التوجيه الإسلامي الموريتانية أو أشار إليه قانصو نفسه والذي صرح بأن عدد أتباع مذهبه بموريتانيا لا يتجاوز العشرات وأن الحديث عن وجود عشرات الآلاف من الشيعة في موريتانيا «كلام يراد منه التخويف والتهويل».

وعلى كل فإن كلا الرأيين يبدوان غير مطابقين للحقيقة غير أن ما يعنينا هو الإشارة إلى أن ما صرح به قانصو من أن المتشيعين بالعشرات هو من باب التقية للحفاظ على الشيعة هناك وعدم تحرك الدولة الموريتانية لمواجهة هذا المد ومن ثم فإن ما يمكن أن نتوقعه هو أن عمليات المد قائمة بلا توقف وإلا فما الدافع الحقيقي وراء زيارة قانصو لموريتانيا؟

وختاما فإن الحديث عن حق الشيعة في التواجد السياسي ربما يروق للبعض في إطار فهم مغلوط لمعنى الحرية لكننا ولو افترضنا جدلا الاتفاق مع أمثال هؤلاء على ما ينادون به فإننا نرى أنه من حقنا أن نطرح تساؤلين في غاية الأهمية:

الأول: ألا يعد إصرار المتشيعين على العمل المشترك من خلال تنظيم واحد ووفق رؤية موحدة تمييزا يستهدف إحداث تجمع لأصحاب مذهب بعينه وهو ما يتعارض مع القوانين والدساتير التي تسمح لأي مواطن بشكل بديهي أن ينخرط في الحياة السياسية؟

أما الآخر: فيتعلق بحقيقة ولاء هؤلاء المتشيعين وهل يكون لبلادهم أم سيكون لإيران التي تتحدث عن عودة الإمام الغائب وتقود أتباعه؟

انتشار التشيّع وتأثيره في النسيج الاجتماعي في غرب إفريقيا

محمد الأمين سَوَادغو(❖) – خاص بالراصد

استوطن إفريقيا كثيرٌ من المعتقدات الوافدة، ومن أبرز أسباب ذلك أنّ الشّخصية الإفريقية شخصية مرنة، سهلة الاستجابة، تتقبل كلّ شيء، وقد أدرك الشّيعة الرافضة هذه السمة في الشّخصية الإفريقية؛ فسعوا إلى القارة السّمراء، يروّجون لمذهبهم تحت دعاوى محبّة أهل البيت وموالاة عليّ رضي الله عنه.

وعلى الرَّغم من أنَّ المسلم في غرب إفريقيا سنّيّ العقيدة، مالكي المَذْهب، منذ قرون، فإنَّ التّشيّع أصبحَ يتوغَّل في إفريقيا عامّة، وغربها خاصّة، وأصبحَت الدعوة إلى التشيّع ظاهرة، وهذا ما يستلزم التَّناول العلمي، خصوصاً مع اتجاه الدراسات المنسوبة للمتشيّعين الأفارقة، من مختلف المرجعيات الشّيعية، نحو أسلوب التّضخيم والمبالغة عن التمدّد الشّيعي في غرب إفريقيا.

تاريخ الوجود الشيعي في غرب إفريقيا:

إنّ دراسة الوجود الشّيعي من النَّاحية التَّاريخية في منطقة غرب إفريقيا عملٌ شاقٌّ ومهم؛ لأنّ غرب إفريقيا تمثّل منطقة شاسعة، تضمّ: (بوركينافاسو، موريتانيا، السنغال، غامبيا، الغابون، غينيا بيساو، غينيا كوناكري، ساحل العاج، مالي، غانا، نيجيريا، النيجر، سيراليون، توغو، ليبيريا، بنين، والرأس الأخضر)، ويزيد عدد سكان المنطقة على «٢٥٠ مليون نسمة»، وهي تمثّل أكبر كتلة مسلمة في إفريقيا، فأغلب سكانها مسلمون، إضافةً إلى أنّها أكثر أجزاء القارة من حيث الوحدات السياسية، والازدواجية في التَّقسيم الدِّيموغرافي.

(❖) باحث في الشؤون الإفريقية من بوركينافاسو.

والتَّمدّد الشّيعي في غرب إفريقيا - أو غيرها- من المستجدات الميدانية التي تثير اهتمام الفعاليات الإسلامية والجهات المهتمة بالدعوة وغيرها في غرب إفريقيا اليوم، وإنَّ المتتبع لتاريخ دخول الشّيعة والمتشيّعين الأفارقة وغيرهم في إفريقيا بعامّة، وغربها بخاصّة، يُدركُ بوضوح أنَّ دخولهم مرّ بعدّة محطات؛ أهمها:

المحطة الأولى: الجاليات اللّبنانية، أول نواة للشّيعة في غرب إفريقيا

منذ حقبةٍ من الزمن هاجر بعض اللبنانيين إلى إفريقيا لغرض التّجارة والاستثمار فيها، وكان منهم الشّيعي، والسُّنّي، والنصراني، والدرزي، وتزايد عددهم بشكلٍ واضحٍ مع النصف الأخير من القرن التَّاسع عشر، وكانت المستعمرات الفرنسية في إفريقيا أولى محطات الهجرة اللبنانية إلى القارة؛ لأنّ بعضهم يتقن اللغة الفرنسية بسبب الاستعمار الفرنسي للبنان، وتركّزوا في ستة أقاليم كانت خاضعة للسّيطرة الفرنسية بعد الحرب العالمية الأولى، هي: (السِّنغال، وغينيا كوناكري، ومالي، وبنين، والنيجر، وموريتانيا)، بالإضافة إلى مستعمرتي: (غامبيا، وسيراليون) الإنجليزيتَين، ومستعمرة غينيا الاستوائية البرتغالية.

وفَد مع التُّجار اللّبنانيين متشيّعون لبنانيون لنشر العقيدة الشّيعية في إفريقيا، فشكّلوا النواة الأولى للوجود الشّيعي في غرب إفريقيا، وقد ازداد نشاطهم بعد تقلّد بعض أبناء جالياتهم مناصب عليا في بعض بلدان إفريقيا؛ فوفَّروا للمتشيّعين حمايةً قانونيةً وغطاءً سياسيّاً؛ وتُرجم «الثقل الاقتصادي للجالية اللبنانية إلى ثقلٍ سياسيٍّ بدخول بعض الأفراد ذوي الأصول اللبنانية إلى البرلمانات الوطنية في الدول الإفريقية، على نحو ما حصل في غينيا بيساو، بينما وصل آخرون إلى منصب مستشار الرئيس كما في غينيا الاستوائية وبوركينافاسو. يُضاف إلى ذلك الاتصالات الشّخصية للعديد من رجال الأعمال اللّبنانيين بكبار المسؤولين ورجال

الدولة في الدول الإفريقية بغية تأمين مصالحهم وحمايتها، وهي اتصالات تتمّ في معظمها على أُسس فردية ولمصالح خاصّة»[1].

المحطة الثّانية: الدبلوماسية الإيرانية

وقد ظهر الشّيعة بشكلٍ منظّم في غرب إفريقيا منذ عام ١٩٤٩م إلى ١٩٩٠م تحت رعاية الدبلوماسية الإيرانية، وهناك مَن يرى أنَّ حقيقة الظهور المنظّم في غرب إفريقيا بدأ بين عامي ١٩٨٠م و١٩٩٠م؛ لأنَّ معظم بلدان غرب إفريقيا ارتبطتْ علاقاتها الدبلوماسية بإيران في هذه الحقبة[2].

المحطة الثّالثة: الثورة الإيرانية الخُميَنية

تعدّ الثورة الخمينية عام ١٩٧٩م المحرِّك الأساس للشّيعة في إفريقيا، حيث أطلقت مشروعاً عالميّاً بعيد المدى؛ لتصدير (الثورة الإسلامية) التي تستهدف العالم الإسلامي والمسلمين السنّيين؛ إذ إنَّه من المعروف أنّ النشاط الدعوي الشيعي مقصورٌ على الداخل الإسلاميّ في معظمه الغالب، ولا ينشط خارج إطار المسلمين؛ فهو غير معنيٍّ أصلاً بانتشار الإسلام، وإنما معنيٌ بذيوع الفكرة الشّيعية المتمردة في المحيط السُّني، وفي إفريقيا (محلّ الدراسة)، وعند تتبع النشاطات والمؤسسات التي تأسّست في إفريقيا يُلاحَظ أنّ معظمها بدأ عمله في الأعوام التي تلتْ الثورة الإيرانية؛ بدءاً من عام ١٩٨٣م تقريباً[3].

واستطاعتْ إيران طيلة ثلاثة عقود من العمل المنظّم والمستمر، ومن خلال المنظمات الخيريَّة الإيرانية والعراقية، والهيئات الحكومية والأهلية، والمراكز التّعليمية والثّقافية، والمشاريع الاقتصاديَّة الاستثماريَّة، إضافة إلى العمل الدبلوماسي الدِّيني، والتَّغطية الإعلامية القويّة والمستمرة، إيجاد حواضن لعقيدة الشّيعة الاثناعشريَّة في غرب إفريقيا، تتباين حولها المواقف؛ حيث «يعمد المناهضون للتقليل منها، والمناصرون إلى المبالغة فيها، يُضاف إلى ذلك دثار (التّقية) الذي يتلفع به أفراد الطائفة، على أنَّ هذا الحضور الشّيعي يرقى إلى حدّ الظاهرة التي لا تخطئها العين في: غانا، ونيجيريا، والسِّنغال، وساحل العاج»[4].

عوامل انتشار الشّيعة في غرب إفريقيا:

هناك العديد من العوامل، يتلخص أهمّها فيما يأتي:

١ - تقليل دعم النشاط الدعوي السنّي بحجّة مكافحة الإرهاب:

لقد طوَّقت الدول الغربية أبرز الجمعيات الإسلامية المموِّلة للدعوة الإسلامية في إفريقيا بحجّة مكافحة الإرهاب، واتخذتْ من أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ذريعةً لمحاربة نشر الإسلام الصحيح في إفريقيا، فوضعوا قيوداً صارمةً وملزمةً على الدول العربيَّة السّنية لتضييق الخناق على «قطاع العمل الخيري الخليجي (السُّني) وما يرافقه من نشاطات دعوية، ما أدى إلى تخوُّف كثير من المؤسسات الخيرية من دمج التوعية الدينية مع عملها الخيري...؛ لاسيما مع توافر أجواء تسمح بلصق تُهَم دعم الإرهاب به من قِبَل قوى دولية»[5]، إضافة إلى التَّفجيرات وأعمال العنف التي حدثت في أكثر من بلدٍ إفريقي، مثل: (تنزانيا، وكينيا، والصومال، والجزائر، ونيجيريا)، التي يستغلها الشيعة في «بعث رسالة إلى الحكومات والأنظمة والشعوب الإفريقية بأنّ البديل (الآمن) للفكر التكفيري العنيف هو الفكر الشّيعي ومعتقداته (السلمية!)»[6]؛ فجمَّدت

(١) اللبنانيون في إفريقيا، تريز منصور، مقال من موقع، مجلة الجيش، بيروت– لبنان، العدد: ٣١١، مايو ٢٠١١م – الموقع الرسمي للجيش اللبناني، موقع/ http://www.lebarmy.gov.lb/.

(٢) التّشيّع في إفريقيا، تقرير ميداني، تقرير خاص باتحاد علماء المسلمين تحت إشراف: لجنة تقصي الحقائق بمجلس الأمناء، ط١، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، ص: ١٢٣ - ٣٤٣.

(٣) إيران المتجهة إلى إفريقيا تبشيراً واستثماراً، أمير سعيد، مجلة البيان، مجلة إسلامية شهرية جامعة، السعودية، العدد: ٢٨١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٠م، ص ٤٨.

(٤) التشيّع في غرب إفريقيا، محمد با بكر أحمد، مقال علمي، ٢٠١٣/٧/١م، في موقع/ http://sudaneseonline.com

(٥) المرجع السابق، ص ٤٩.

(٦) إيران المتجهة إلى إفريقيا تبشيراً واستثماراً، أمير سعيد، مجلة البيان، ص ٤٩.

بعض الجمعيات الدعوية الإسلامية كلّ أنشطتها الضعيفة أصلاً؛ خوفاً من تهمة الإرهاب والملاحقة القانونية من دولها الإسلامية، أو من المنظمات الدولية الغربيَّة، فانتهز الشِّيعة هذه الفرصة لنفث عقيدتهم الفاسدة في غرب إفريقيا.

٢ - عوائد النَّفط العراقية:

سقطت العراق السنّية بيد الشيّعة، وتحكمها الآن مرجعيات شيعية مرتبطة بإيران، وأصبحت العراق مصدر تمويل للشيعة الرافضة في كلّ إفريقيا، وبخاصّة غربها؛ حيث وُجّه «جزءٌ من عوائد النفط إلى النشاط الدعوي بإفريقيا، واستغلال ارتفاع أسعار النفط أثناء حرب الكويت، ثم العدوان على العراق، وما تلا ذلك من ضخّ أموالٍ لتُصرف على التشييع بإفريقيا»[١].

٣ - ضعف دور المؤسسات التَّعليمية الإسلامية السنّية في غرب إفريقيا:

يلاحظ كلُّ متابع لحال الدعوة الإسلامية في إفريقيا تراجع دور المؤسسات التعليمية العريقة والقويّة من الدول العربية والإسلامية، مثل: جامعة الأزهر الشَّريف، الذي كان منبع العلوم الإسلامية ومصدراً لنشر الإسلام في القارة، كذلك الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية بليبيا، وجامعة الزيتونة في تونس، وأدى ضعف دور هذه المؤسسات الإسلامية السنّية إلى ظهور بيئة مناسبة لنشر العقيدة الشِّيعية الرَّافضية.

٤ - تضييق الدول الغَربية على نشر الإسلام الصحيح في غرب إفريقيا:

يمارس الغرب ضغوطاً على الدول الإفريقية لفتح أبوابها أمام المدّ الشّيعي ليكون بديلاً للإسلام السنّي الصّحيح، ففرنسا وأمريكا - مثلاً - راضيتان وداعمتان لوجستيّاً لـ «النشاط الشّيعيّ في دولٍ إفريقية ذات غالبية مسلمة، كنيجيريا وغانا وإريتريا وكينيا والسنغال... وغيرها»[٢]، يعرف الغربيّ النصرانيّ العلمانيّ الليبراليّ أنّ الإسلام الصحيح «يمثّل بالنسبة للجنس الأسود العامل الحضاري الأعمق أثراً»[٣]، كما يعرف الغربيّ أنّ الإسلام السنّي الصحيح وقايةٌ من كلّ المعتقدات المنحرفة والتَّغريب.

أثر التَّشيُّع في النسيج الاجتماعي الإفريقي:

تَفرض قضية اتساع نطاق المدّ الشّيعي في غرب إفريقيا حزمةً من التأثيرات الخطيرة المحتملة على النسيج الاجتماعي التي تحمل في طياتها عدّة مخاطر جسيمة ومدمِّرة، لاسيما مع توافر بيئة خصبة تتسم بحالة القلق؛ بسبب تزايد وتيرة الفقر وأصحاب النفوس الضعيفة، وتردي الظروف الاقتصاديَّة في غرب إفريقيا المسلمة؛ ويمكن تلخيص تلك التَّأثيرات في المخاطر الآتية:

الخطر الأوَّل: تفكيك النَّسيج الاجتماعي (الأسرة – الفرد):

دأبت إيران منذ قيام «دولة الشيعة الرافضة» عام ١٩٧٩م في توظيف التّشيّع؛ بشكلٍ يهدّد وحدة المجتمعات في العالم الإسلامي.

ويمكن أنْ ألخص آثار التّشيّع السَّلبي على المسلمين في غرب إفريقيا في الآتي:

١ - زرع الفُرقة وتعميقها في الأسرة الواحدة: زرعت الشيعة في إفريقيا الفُرقة بين العائلة الواحدة، حيث انقسمت بعض العائلات في غرب إفريقيا إلى قسمَين: قسم على عقيدة أهل السنّة والجماعة، وقسم آخر على عقيدة الشيعة، بينهما بغضٌ وكراهيةٌ وفُرقة وتناحرٌ كامل، وصل إلى انقطاع رحمٍ بينهما، والسّبب هو دخول الرافضة في إفريقيا.

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٩.

(٢) إيران المتجهة إلى إفريقيا تبشيراً واستثماراً، أمير سعيد، مجلة البيان، ص ٤٩.

(٣) التيار الإسلامي في الأدب السنغالي، خالد عبد المجيد مرسي، وشيخ حامدو كاني، منشورات مركز البحوث والدراسات الإفريقية، سبها، ليبيا، ط١، ١٩٨٩م، ص ٥٣.

٢ - تفكيك قوَّة المسلمين ووحدتهم: هناك ضعفٌ وارتباكٌ في صفوف المسلمين في غرب إفريقيا اليومَ، كان المسلمون قوَّةً متماسكةً في إفريقيا بعامّة، وغرب إفريقيا بخاصّة، لكن منذ أنْ ظهرتِ الشّيعة الرّافضة اختلفوا وذهبت قوَّتهم، فالمتشيع الإفريقيّ لا يصليّ في مساجد أهل السنّة والجماعة، والسنّي ناصبيٌّ عند الشّيعة الرّافضة، والسّبب هو الشّيعة الرّافضة التي ظهرتْ بمعتقداتٍ باطلةٍ في إفريقيا.

٣ - تمزيق أواصر الأخوّة والمحبّة بين المسلمين: السُّنّي في غرب إفريقيا لا يصاهر الشّيعيّ، وكذلك العكس، لوجود تناحرٍ بين الطائفتَين، في حين كان الأفارقة في الماضي يتصاهرون بالرغم من اختلاف مذاهبهم، فقد كان المعيار الوحيد عند المسلمين في إفريقيا هو «اعتناق الإسلام»، لكن لّما دخلت الشيعة وطعنت في الكتاب والسنّة، وشكّكت في نصوص الدّين الصريحة النقلية والعقلية، وطعنت في الصحابة وأمّهات المؤمنين - رضي الله عنهم جميعاً - ، أصبح السُّنّي يفارق المتشيع ويبتعد عنه؛ لأنّه صار فيروساً خطيراً يسعى لتسميم جسد الإسلام في إفريقيا.

٤ - إضعاف روح التَّضامن والتَّعاون بين المسلمين: بمجيء الشيعة ظهرت لهجة العداوة والجفاء التامّ في المعاملات الاجتماعية بين المسلمين والشيعة في غرب إفريقيا؛ فالشيعيُّ يلعن السّنّيَّ جهاراً، ويتمنّى لأهل السنّة الموت في أسوأ ظروف، ويفرح بل يمرح بموت عالمٍ سنّيٍّ، أو بوباء نزل بساحتهم، فهناك عداوةٌ حقيقيةٌ في الأسواق والمؤسسات الاجتماعية، ويعامل الشيعيُّ زميله الشيعيّ بكلّ حبٍّ وودٍّ وسهولة، ويعبس في وجه السّنّيِّ ويعامله بقساوةٍ، وربّما تآمر عليه ليعرقل إجراءاته ومعاملاته الاجتماعية أو التجاريّة في الدولة.

٥ - تفتيت الصرح التَّعليمي الإسلامي في غرب إفريقيا: انقسمت المدارس الإسلامية في إفريقيا إلى قسمَين، مدارس سنّية كانت منتشرة في غرب إفريقيا بشكلٍ واسعٍ، ومدارس شيعية رافضية حديثة، تمثّل حسينيات وحوزات وكليات شيعية، يُنفق عليها بسخاء، الهدف منها خلق هوّة وفرقة لطمس المؤسّسات السنّية، فتسعى لجلب أبناء أهل السنّة لهذه المؤسسات، وهي خطة لتدمير النسيج الاجتماعيّ والتّعليميّ في إفريقيا، لأنها تُدخل الأسرة الواحدة في جدالٍ عقيمٍ عن أسباب موت الحسين ويوم الجمَل.. إلخ، ويتباغض أفرادها بسبب هذه الخلافات التي تشتعل بينهم وهم في غنىً عنها.

٦ – إثارة التناحر والتباغض بين المتعلمين المسلمين: فهناك سِجَالٌ عقيمٌ بين طلاب العلم في المعاهد والمدارس الإسلامية في إفريقيا وفي الأنديّة الشبابية، إضافةً إلى الشّبكة العنكبوتية الإنترنت، وبين الوجوه الشّبابية التي تشيّعت، وقد وصل هذا السِّجال ببعضهم إلى صراعٍ دائمٍ وانقطاعٍ كاملٍ، شَحَنَ نفوسهم بالكره والبغضاء.

٧ - فقدان الثقة بين المسلمين: بسبب انتشار التشيع في إفريقيا فُقدت الثقة بين المسلمين الأفارقة، حيث قسمهم التشيع إلى الإفريقيّ السنّيّ والإفريقي الشيعيّ الرافضيّ، ومن ثمّ ينظر الشيعيّ الرافضيّ إلى الإفريقيّ المسلم بوصفه ضالاً، فكلّ مسلم لا يؤمن بدين الرافضة ولم يبايع مراجعهم الشيعة فهو ضالٌّ حسب رؤية الشيعيّ الإفريقي.

الخطر الثّاني: تزايد احتمالات نشوب صراعات مذهبية وطائفية:

إنّ انتشار الشيعة الرافضة في إفريقيا يزيد احتمالات نشوب صراعات مذهبية وطائفية في كلّ إفريقيا بعامَّة، وغربها بخاصَّة، حيث وُظفَ التشييع لأغراض سياسيةٍ لخدمة إيران وحلفائها، قال الشَّيخ محمَّد الحاج حَسَن رئيس «التَّيار الشِّيعي الحرّ» في لبنان: إنَّ «إيران تستخدم الشِّيعة العرب وقوداً لمشروعها الخاص (في المنطقة) الَّذي لا يَخْدمُ

الـشِّيعة؛ بـل يخـدم هـدفها الـسِّياسي»[1]، هـذا في الـوطن العربـي، وهـو المـشروع نفـسه في إفريقيـا، اسـتخدمت إيـران «حـبّ آل البيـت» في إفريقيـا لخدمـة أهـدافٍ سياسـيةٍ، ولهـذا تـدعم الـصراعات الطائفيـة المذهبية بالمال والفكر.

ولم يعـد خافيـاً أنّ التـشيع في غـرب إفريقيـا أصـبح يُنـذر بإمكانيـة انـدلاع صـراعات ذات طـابعٍ مـذهبي بـين الـسنّة والـشيعة، لا سـيما مـع انتـشار النزاعـات والحـروب الطائفيـة في الـدول العربيـة كافـة، وتوسعة رقعـة هـذه الحـروب في العـالم الإسـلامي بمـا فيهـا إفريقيـا، وسـتكون ردود الأفعـال بـلا حـدود، وإفريقيـا جـزءٌ مـن العـالم، تتوغـل الـشيعة الرافـضة فيهـا بـشكلٍ مريـب، تخـترق المجتمعـات كمـا تخـترق النـار الهـشيم، وتـسعى لتفتيـت المجتمعـات المتماسـكة اجتماعيّاً وثقافيّاً.

ويمكـن أنْ ألخـص تزايـد احتمـالات نـشوب الـصراعات المذهبيـة والطائفيـة في إفريقيـا في الآتي:

١ - احتمـال انعكـاس الـصراعات (العربيَّـة - الفارسـية) علـى المـسلمين في إفريقيـا: فالـدول الـسنّية لهـا حـضورٌ قـويٌّ في إفريقيـا، حيـث تمـوّل المـشاريع في بنـاء الجامعـات والكليـات الـتي تنـشر العقيـدة الإسـلامية الـصحيحة المبنيـة علـى الكتـاب والـسنّة بفهـم سـلف الأمّـة في إفريقيـا، وتتبعهـا الجمعيـات والمراكـز الـتي تـبني المـساجد والمعاهـد ودور الأيتـام والمـشافي وتحفـر الآبـار وغيرهـا، وفي المقابـل الـدول الراعيـة لنـشر التـشيّع في إفريقيـا تـبني جامعاتهـا ومعاهـدها وإذاعاتهـا ومـساجدها وعياداتهـا ومـشافيها ومراكزهـا، فـردود الأفعـال متوقعـة، ونـسبة الاصـطدام المتوقعـة بـين أبنـاء هـذه الـدول وأتباعها عالية.

٢ - تـصاعد حِـدّة الطعـن في الـصحابة وأمّهـات المـؤمنين – رضـي اللّه عـنهم أجمعـين - في الخطـاب الـديني للـشيعة الرافـضة في غـرب إفريقيـا: وقـد تهـوّر المتـشيعون في نـشر مطوياتهم وتـسجيلاتهم الـتي تحـوي ذلـك، وسـيُقابل هـذا التهـور الـشيعيّ الرافـضيّ مـن قِبـل أهـل الـسنّة بتـصحيحٍ علنيّ، وقد يحدث اصطدامٌ بين الحقّ والباطل.

٣ - فـتح جامعـات شـيعية في منـاطق ذات أغلبيـة سنية، بـدعمٍ مـاديٍّ سـخيٍّ لهـا: والغـرض مـن هـذا التنـافس غـير الـشريف زرع البلبلـة بـين المـسلمين الـسنّيين، وإشـعال فتيـل الفـتن بيـنهم، ويعتمـد الـشيعة علـى علمانيـة الـدول الإفريقيـة لاسـتفزاز الـسنّيين في مناطقهم.

٤ - تجاهـل الحكومـات الإفريقيـة لخطـر الـشّيعة الرافـضة في إفريقيـا، وتركيزهـا علـى مـا يـسمى بـ «التّطـرف الـسنّي»: فأهـل الـسنّة والجماعـة في غـرب إفريقيـا طائفـة مـسالمة، لا تعـرف التَّطـرف ولا الغلـو فـضلاً عـن الـسّلاح، وإذا خـرج مـنهم بعـض الجهـلاء باسـم الجهـاد وغـير ذلـك؛ فهـم بريئـون مـنهم، فتجاهـل الحكومـات الإفريقيـة لخطـر الـشيعة الرافـضة في إفريقيـا خطـأٌ اسـتراتيجيٌّ؛ يـسبّب تـوترات عميقة بين المسلمين في إفريقيا.

٥ – تحـريض إيـران للحكومـات الإفريقيـة علـى مؤسـسات أهـل الـسنّة والجماعـة: تـستخدم إيـران الحقيبـة الدبلوماسـية والعلاقـات الحكوميـة بينهـا وبـين حكومـات الـدول الإفريقيـة للتحـريض علـى المنظمـات الـسنّية؛ فتتهمهـا بنـشر التطـرف وتكـوين الحركـات الجهاديـة القتاليـة، ويـا للأسـف الـشديد! بعـض الحكـام الأفارقـة يـصدّقون هـذه الأكاذيـب، فيـصدرون قـوانين تمنـع عمـل المؤسـسات الإسـلامية الـسنّية أو تعرقـل أعمالهـا في إفريقيـا، وهـذا سيـسبّب تـوترات مـستقبلية، وقـد يـشعل حروبـاً لا تبقي ولا تذر.

الخطـر الثالـث: الـشيعة خطـر علـى أمـن المجتمع الإفريقي المسلم

يتعامـل المتـشيعون الجـدد مـع أوطـانهم بوصـفها

---

[1] مقال بعنوان: الشيعي الحر.. إيران تستخدم الشيعة العرب وقودًا لمشروعها الخاص، موقع مفكرة الإسلام، ٢٣ مايو ٢٠١٥م.

أوطاناً ثانوية، حيث يتحول انتماؤهم – بعد تشيّعهم - لإيران أكثر من انتمائهم لبلدانهم، وتصبح مدينتهم المقدّسة هي (قُمْ).

تسعى إيران من خلال نشر التشيّع إلى التأثير في أمن إفريقيا، ففي أكتوبر ٢٠١٠م استطاعت السلطات النيجيرية رصد ثلاث عشرة حاوية شحن تحتوي على أسلحة، بما في ذلك راجمات صواريخ مدفعية ١٠٧ ملم، ورصاصات بنادق، والعديد من الأسلحة الخفيفة الأخرى، وكانت الحاوية مكتوبا عليها من الخارج: «مواد بناء»، وطبقاً للتحقيق الذي أجرته السلطات النيجيرية بعد ذلك؛ فإنّ الشحنة جاءت من إيران، وكانت في طريقها إلى غامبيا، ورداً على هذا الاكتشاف قامت السلطات الغامبية في عام ٢٠١٠م بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إيران، وطردت الدبلوماسيين الإيرانيين من البلاد.

وفي فبراير ٢٠١١م قال وزير الخارجية النيجيري أودين أجوموجوبيا: «إنَّ حكومته أبلغت مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بضبط شحنة أسلحة غير مشروعة قادمة من إيران، اعترضتها أجهزتها الأمنية في لاغوس الشهر الماضي.. واستجوب محققون نيجيريون أحد الإيرانيين الذي لجأ إلى السفارة الإيرانية في أبوجا عاصمة نيجيريا فيما يتعلق بشحنة الأسلحة، بعد أن قام وزير الخارجية الإيراني منوشهر متكي بزيارة نيجيريا يوم الخميس، لكنّهم لم يتمكنوا من استجواب الآخر؛ لأنه يتمتع بحصانة دبلوماسية. وقالت مصادر دبلوماسية إنّه يعتقد أنّ الرّجلين من أعضاء: (وحدة القدس) التابعة للحرس الثوري الإيراني والمتخصصة في العمليات الخارجية»[١].

اعترفت إيران في النهاية أنّها قامت بشحن تلك الحاوية، وزعمت أنّ الشحنة كانت جزءاً من اتفاقيةٍ سريّةٍ أجرتها طهران مع العاصمة الغامبية (بانجول)، ولكنها أنكرت أنها خرقت بذلك الحظر الأممي على مبيعات السلاح الإيرانية؛ لأنّ الصفقة تمّ توقيعها عام ٢٠٠٨م؛ أي قبل عامين من فرض حظر السلاح على إيران[٢].

لقد أدى هذا التدخل إلى انهيارٍ سريعٍ في العلاقات التي كانت تربط كلاً من إيران والسنغال من جهة، وإيران وغامبيا من جهةٍ أخرى، حيث استدعت السنغال سفيرها من إيران، وذلك بعد علمها أنّ إيران أمدّت الانفصاليين في منطقة «كاسامانس» بالسلاح الذي استُخدم لقتل ثلاثة من الجنود السنغاليين[٣]، فقد وصل تقريرٌ قدّمه رئيس أركان الجيش السنغالي إلى الرئيس عبد الله واد، أكّد فيه أنّ القوات الانفصالية لحركة «كاسامانس» استخدمت أسلحة متطوّرة وذخيرة تمّ استيرادها من إيران[٤]، وقد أصدر الرئيس السنغالي بياناً قال فيه: «إنّ السنغال تشعر بالغضب من أنّ الرصاصات الإيرانية استُخدمت لقتل ثلاثة من الجنود السّنغاليين»[٥]، وهذه الحالات هي المعلنة وما خفي قد يكون أخطر وأعظم، فإيران تتوغل سلباً في إفريقيا، والحروب الطائفية القادمة في إفريقيا سيكون سببها إيران.

يتخذ المشروع الإيرانيّ الفارسيّ الصفويّ من المذهب الشيعيّ غطاءً له يهددنا تهديداً عقديّاً ووجوديّاً، ويهددنا في قيمنا الإفريقية والإسلامية، الاستراتيجية الإيرانية لها أيد غير ناعمة في إفريقيا، تورطت في تصدير الأسلحة لمناطق الصراعات الإفريقية بغية تحقيق مصالح سياسية واستراتيجية

(١) نيجيريا تبلغ مجلس الأمن الدولي عن مصادرة شحنة أسلحة إيرانية، موقع قناة العربية، ١٦، نوفمبر ٢٠١٠م.

(٢) Anna Mahjar-Barducci, —Iran‘s charm offensive in Africa. Hudson New York, 18 March 2011, http://www.hudson-ny.org/1974/iran-charm-offensive-africa.

(٣) Senegal severs ties with Iran, Al Jazeera, 23 February 2011. http://english.aljazeera.net/news/africa/2011/02/201122392022223897.html

(٤) Senegal ends relations; says Iran arms rebels, International Iran Times 3 March 2011, http://www.irantimes.com/english/index.php?option=com_content&view=artic... says-iran-arms-rebels&catid=98:whats-left&Itemid=425.

(٥) Senegal severs ties with Iran. Al Jazeera, 23 February 2011. http://english.aljazeera.net/news/africa/2011/02/201122392022223897.html

إيرانية، ولربما توصل إيران هذه الأسلحة بتكليفٍ من الدول الغربية التي تدعم الانفصاليين في كثيرٍ من البلدان الإفريقية.

ويمكن تلخيص المشكلة القادمة على أمن القارة في النقاط الآتية:

١ - تكوين أحزاب شيعية سياسية في إفريقيا على غرار حزب الله في لبنان، والأحزاب العراقية واليمنية والبحرينية والكويتية: فجماعة الزكزاكي مثلاً في نيجيريا بمثابة كتلة سياسية خطيرة، تعتمد على سياسة حزب الله اللبناني في تجنيد أعضائها، وترمي إلى خلق قواعد محلية موالية لإيران باعتبارها المرجعية الوحيدة، وتزعم مواجهة المصالح الغربية في إفريقيا ومواجهة الإمبريالية والاستكبار الغربي لمجرد ذرّ الرماد في العيون.

٢ - أسّسوا حزباً سياسيّاً في موريتانيا باسم: (حزب الجبهة الشعبية) قبل ١٦ - ١٧ سنة: لم يعلن في وقت تأسيسه أنه حزب شيعي، إلا أنّ فكرة التشيع وخدمة الأجندات الخمينية كانتا ضمن برامجه، صرّح بذلك رئيس الحزب نفسه قائلاً: «الجبهة الشعبية حزب - فعلاً - متأثرٌ بالأفكار الخمينية، وهو حزب من الأحزاب التي تأسست منذ حوالي ١٦ إلى ١٧ سنة، ومنذ ذلك الوقت نحن على هذا الخط، ونحاول مع القوة اليسارية الموريتانية أن تكون مساندة لهذا الخط، خاصّة الخط الذي يتمثّل اليوم في حزب الله وسوريا والجمهورية الإسلامية، نحن مؤمنون بخطّ الخميني وندافع عنه في موريتانيا، وندافع عنه في جميع الدول العربية، وندافع سياسيّاً عن هذا الخطّ ضدّ الحركات السّلفية، وبعضٍ من الحركات القريبة من الإمبريالية ومن الصهيونية العالمية، وهذا خطنا من الناحية السّياسية»[1]، هذا الكلام خطيرٌ على مستقبل أمن موريتانيا، فهي دولة سنّية على مذهب الإمام مالك، والقبول بحزبٍ سياسيٍّ شيعيٍّ يعني تطبيق النموذج اللبناني في موريتانيا، وهو نموذج سفك الدماء والحروب.

٣ - تسليح أتباعهم وتجنيدهم وتدريبهم: مما يعني أنّ مستقبل القارة حروبٌ ودمارٌ وسفكٌ للدماء، فما علاقة نشر التشيع بتجنيد الشباب وتسليحهم في إفريقيا؟! إنّ هذا يعني أنهم يخططون للعبث بأمن القارة وبوحدة المسلمين فيها، كما فعلوا ويفعلون بالوطن العربي اليوم.

سبيل مجابهة التمدّد الشيعي الرافضي في غرب إفريقيا:

لكلّ ظاهرة سيئة بدايتها، ويمكن وضع نهايتها وفق خطة مدروسة، **وأهم سبل مجابهة الشيعة الرافضة في غرب إفريقيا ما يأتي:**

١ - وضع خطط مدروسة بعناية شديدة: فالشِّيعة الرافضة تسير وفق خططٍ طويلة المدى، ومدعومة من إيران وبعض الحكومات الإفريقية، أما جهودنا – فغالباً - مبنية على مبادرات فردية أو جماعية عشوائية، ولا تحظى بدعمٍ حكومي، ومن المهمّ بمكانٍ تأسيس جمعيات ومنظمات إفريقية تقودها كفاءات واعية مقتدرة، تدرس الواقع وترصده بشكلٍ جيد، وتشرف على الدعاة، وتعدّ لهم البرامج المناسبة لتنفيذها في المدن والقرى في منطقة غرب إفريقيا، وعلى مستوى كلّ دولة على حدة.

٢ - توحيد الجهود العلمية والدعوية لمجابهة هذه الظاهرة الخطيرة في غرب إفريقيا: يقول المثلُ الإفريقيُّ: (اليد الواحدة لا تصفّق)، فعدم وجود تنسيق وتواصل بين العلماء والشخصيات الدعوية من أهل السنّة والجماعة، وقلّة المؤتمرات والمخيمات الدعوية والقافلات الدعوية للاطلاع على خطورة هذا التمدد، يزيد في نفوذ هذا السرطان الخبيث.

٣ - تقوية البعثات الدبلوماسية التي تمثّل الدول العربية والإسلامية في غرب إفريقيا:

(١) قناة العربية (مهمة خاصة)، بعنوان: إيران في موريتانيا.

يـدرك كـلّ مَـن يتـابع واقـع الحيـاة الدبلوماسـية في غـرب إفريقيـا أنّ بعثـة الفـرس الدبلوماسـية أقـوى ميـدانياً مـن دبلوماسـية الـدول العربيـة والإسـلامية، فتجـد السـفير الإيرانـي سـفيراً ميـدانياً في الـدعوة والتّشيّع، وكـذلك الملحـق الثقـافي الـذي يتخصّص في الـدعوة أصـلاً إلى المـذهب، بخـلاف سـفراء كـثيرٍ مـن الـدول العربيـة والإسـلامية الـذين لا يهمّهـم أمـر الـدعوة الإسلامية.

٤ - تكــوين الــدعاة مــن غــرب إفريقيــا تكوينـاً جيـداً: لا يقتـصر علـى النـدوات الـتي تُعقـد بـين حـينٍ وآخـر، والـتي لا تعـدو أن تكـون مجـرد لقـاءاتٍ لتوزيـع شـهادات المشاركة والـشكر والتقـاط الـصور التذكاريـة، فـلا بـد مـن تكليـف الـدعاة الميـدانيين بإعـداد تقـارير سـنوية أو موسميـة عـن خطـورة هـذا التّمـدّد، وأساليب ووسـائل مقاومته، يـتمّ رفعهـا للحكومـات والمنظمـات الدعويـة لمناقـشتها، ووضـع الخطـط المناسـبة، وإعـداد الـدعاة، وتـوفير الإمكانيـات المطلوبـة للوقـوف في وجـه التمـدّد الشيعي.

٥ - إيجـاد مـصادر لتـوفير تمويـلٍ داخلـيٍّ أو خـارجيّ ينفـق علـى الـدعاة الميـدانيين وتفـريغهم لتوعيـة المـسلمين بخطـورة الـشيعة الرافـضة: فمعظـم الـدعاة في غـرب إفريقيـا فقـراء، يحتـاجون إلى مـا يعيـنهم علـى القيـام بـواجبهم وتحمّـل مسؤولياتهم الدعوية.

٦ - الاهتمـام بالجانـب الإعلامـي لتوصـيل الإسـلام الـصحيح، وفـضح الملـل والنحـل الفاسـدة، وعقائـد الـشيعة الرافـضة: والاسـتفادة في ذلـك مـن كـلّ تقنيـات التواصـل ووسـائل الإعـلام المختلفـة المـسموعة والمرئيـة والمطبوعـة وغيرهـا، والـشبكة العنكبوتيـة، والبـثّ والتواصـل باللغـات المحليـة، إضـافةً إلى اللغـة العربيـة، والفرنـسية، والإنجليزيـة، وكـذلك فـتح إذاعـات محليـة في المـدن والقـرى، وطباعـة البحـوث والرسـائل الـتي تناولـت القـضية بـشكلٍ جيـد، وترجمتهـا إلى اللغـتَين الفرنـسية والإنجليزيـة، وترجمـة الكتـب والمطويـات وتوزيعهـا علـى الطـلاب والدارسـين، وإصـدار المجـلات المتخصّـصة باللغـة الفرنـسية والإنجليزيـة والعربيـة وبعـض اللغـات المحليـة، لتوعيـة النـاس بخطـر الرافضة.

الخاتمة:

من خـلال هـذا التنـاول تتبين عـدة نتـائج مهمّة، منها:

١ - التـشيع الرافـضيّ دعـوةً ووجـوداً في غـرب إفريقيا أصبح ظاهرة تستوجب التصدي لها.

٢ - لا توجـد إحـصائيات دقيقـة بنـسبة المتـشيّعين في غـرب إفريقيـا؛ إذ يلجـأ الـشيعة إلى سياسـة التّقيّـة وإخفـاء إحـصاء أتبـاعهم، فيقـدّمون إحـصائيات مـزوّرة لأهـدافٍ عديـدة، منهـا: خـداع المزيـد مـن أبنـاء المـسلمين، ومنهـا تـضليل مَـن يـدعمهم بـأنهم يحقّقـون نجاحـاً؛ ومـن ثـمّ لا يمكـن أن نعطـي أي مـصداقية للأرقـام الـضخمة الـتي تطرحهـا «مراكـز الـشيعة الرافـضة في غـرب إفريقيـا»، فعـدد الـذين تـشيَّعوا مـن الـسنغاليين والمـاليين والبـوركينبيين لا يتجـاوز المئـات، علمـاً أنّ بعـضهم تراجـع عـن التـشيُّع، كمـا حـدث مـؤخراً في جمهوريـة الـسنغال حـين انـسحب قرابـة نـصف طـلاب «جامعـة المـصطفى العالميـة» فـرع الـسنغال؛ بعـد أن اكتـشفوا أنّـه تمّ التَّغريـر بهـم، وأنَّ هـدف الجامعـة هـو تـشييعهم ولـيس التَّعليم، لدرجـة أنّ بعـض الطـلاب الَّـذين كـانوا قـد ذهبـوا إلى (قُـم) أصـروا علـى العـودة إلى بلـدانهم لمّـا اكتـشفوا الحقيقة.

٣ - أنّ الجاليـة اللبنانيـة كانـت النـواة الأولى للشيعة في غرب إفريقيا منذ القرن التاسع عشر.

٤ - أنّ الثـورة الإيرانيـة الخمينيـة أصـبحت - بعـد قيامهـا - المحـرك الأول والـداعم الأسـاس لنـشر العقيدة الشيعية الرافضية في غرب إفريقيا.

٥ - اسـتغلال الـشيعة لمسألة استـشهاد الحـسين رضـي اللّه عنـه، وحـبّ آل البيـت، مطيـةً للوصـول إلى أهـدافهم، كمـا يتخـذون مـن قـضية المـستعمر اليهـوديّ والأمريكـيّ والأوروبـيّ أسـلوباً لغـسل أدمغـة الشباب الأفارقة.

٦ - ضعف الدعم الرسميّ من الدول السنّية للمؤسسات والكيانات الإسلامية، وتضييق النطاق على العمل الخيريّ الإسلاميّ، ساهم في إخلاء الساحة للمؤسسات الشيعية لتتحرك بسهولة.

الجالية اللبنانية الشيعية في إفريقيا... الواقع والدور

محمد خليفة صديق(*)– خاص بالراصد

مقدمة:

تمثل إفريقيا إحدى الوجهات المفضلة للهجرة اللبنانية، وتشير بعض الإحصائيات إلى أن ٣٥٠ ألف لبناني على الأقل منتشرون عبر القارة، وتمثل ساحل العاج، والسنغال، ونيجيريا أهم أقطاب الجاليات اللبنانية المقيمة في إفريقيا، بجانب آلاف اللبنانيين الآخرين يقيمون تقريبا في كل الدول الإفريقية، وتعيش الجاليات اللبنانية حياة يسودها الرخاء هناك، وهي أساسية ومنافسة لكثير من الجاليات الأخرى، إذ تبلغ قيمة الاستثمارات اللبنانية في إفريقيا نحو ٤٥ مليار دولار تسبقها الصين بـ ٧٥ مليار دولار أميركي.

يمارس معظم المواطنين اللبنانيين المتوزعين عبر القارة أنشطة تجارية، وفي السنغال التي تعود بداية الهجرة اللبنانية نحو هذا البلد إلى عام ١٨٧٠م أنشأ اللبنانيون على مدار السنين أكثر من ٦٥ ألف موطن عمل، وهناك مستوى اندماج كبير للبنانيين في السنغال، حيث يشكلون «الجيل الرابع من السنغاليين ذوي الأصول اللبنانية»، وهناك العديد من اللبنانيين اندمجوا بصورة كاملة في السنغال على غرار فيصل شرارة رئيس مجلس إدارة صندوق الضمان الاجتماعي السنغالي والذي ينحدر من أصول لبنانية.

كما يتمركز الكثير من اللبنانيين كذلك في الدول المنتجة للألماس على غرار الكونغو الديمقراطية وسيراليون وغينيا الاستوائية وغينيا وإفريقيا الوسطى، ويتمتعون في هذه الدول بسجلات تجارية رسمية لشراء الألماس الذي يصدرونه نحو بلدهم الأصلي لبنان، وعلى ضوء ذلك يمثل الألماس أكثر من ٨٠ في المائة من الصادرات اللبنانية نحو بلجيكا.

لعبت الظروف الاقتصادية المهيأة فى إفريقيا وفرص العمل المتوفرة دورا فى استقطاب عدد كبير من الجماعات اللبنانية إذ نجد أن بلاد إفريقيا تحتل المكانة الثانية بعد البرازيل بالنسبة للمهاجرين اللبنانيين فى العالم قاطبة، ولقد تبعت هجرة المسلمين اللبنانيين إلى إفريقيا هجرة اللبنانيين الموارنة بعد عام ١٩٢٠. وتجدر الإشارة إلى أن الغالبية العظمى من المهاجرين الأوائل من المسلمين إلى بلاد إفريقيا كانوا من الشيعة ومن منطقة جنوب لبنان بالذات، ولعب العاملان الاقتصادى والسياسى فيما بعد دورا فى هجرة المواطنين اللبنانيين إلى إفريقيا، فمنطقة الجنوب اللبنانى التى يسكنها غالبية من الشيعة - بحسب بعض الإحصائيات- تفتقر إلى الموارد الطبيعية الكافية التى تساعد في سد حاجات الإنسان الاقتصادية، علاوة على أن الترتيبات الاستعمارية الفرنسية ساعدت أيضا في خلق طبقات طائفية في لبنان مما جعل الغالبية الشيعية مجموعة اقتصادية وسياسية هامشية إلى وقت قريب.

ساعدت هذه العوامل مجتمعة على هجرة شيعة الجنوب اللبناني إلى الخارج، الأمر الذى تزايدت وتيرته مع احتلال إسرائيل للجنوب اللبناني وتنامي المقاومة المسلحة لهذا الاحتلال والتي قادها الفلسطينيون في البداية، ويمكن إيجاز الأسباب المؤدية للهجرة اللبنانية بصفة عامة، وإلى إفريقيا بصفة خاصة، فى الفترة الزمنية الممتدة من نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وحتى اليوم في النقاط التالية:

١- الوضع الاقتصادي المتردي الذي عرفه

(*) كاتب سوداني.

لبنان فى مراحل عدة من تاريخه، وهذا الوضع انعكس سلبا على الوضع المعيشي.

٢- الظروف السياسية التي عانى منها اللبنانيون وخاصة في خواتيم وبداية القرن العشرين.

٣- انتشار الأمراض والأوبئة واستشراء المجاعة خلال الحرب العالمية الأولى.

٤- السعى وراء تحسين الوضع المعيشى للفرد والرغبة فى الارتقاء الاجتماعي.

٥- الأجور المغرية والفرص الجديدة التى عرضت على المهاجرين الأوائل والإغراءات المالية والوظيفية التي تعطى للكفاءات اللبنانية في الخارج وخاصة في البلدان العربية المصدرة للنفط.

٦- الحروب التي عصفت بلبنان وخاصة الحرب الأهلية التي استمرت لأكثر من عقدين من الزمان وما رافقها من ظروف أثرت في الوضع الاقتصادي والمعيشي.

٧- ضآلة فرص العمل والتي وإن توفرت فإنها غالبا ما تكون معروضة بأجور هي دون تطلعات أصحاب الكفاءات.

٨- تدني الرواتب بشكل عام وخاصة في القطاع العام.

٩- ازدياد عدد خريجي الجامعات بأكثر من فرص العمل المعروضة سنويا مما يفرض أن تكون لبنان بلدا مصدرا للعقول.

١٠- ورود أخبار النجاحات التي أصابها بعض المغتربين ورغبة بعض اللبنانيين المقيمين في حذو وسلوك درب الهجرة.

١١- وجود أقارب في بلد الاغتراب قد يسهل فى اتخاذ قرار الهجرة نظرا للدعم الذي يمكن أن يقدمه الأقارب عبر تحمل أعباء فترة التكيف فى الاستقبال وعبر توفير المتطلبات الضرورية القانونية للهجرة.

خارطة انتشار اللبنانيين في إفريقيا:

ليبيريا:

منذ وصول اللبنانيين إلى ليبيريا في العام ١٨٩٥، وزعوا نشاطهم على مختلف القطاعات، في التجارة والصناعة والعمل الاجتماعي والتربية والبنى التحتية، فمنحهم أهالي البلاد ثقة كبيرة توجت بوصول أحد أفراد الجالية اللبنانية (موني قبطان) إلى منصب وزير الخارجية في العام ١٩٩٧، وتراجعت أعداد اللبنانيين حاليا في ليبيريا بفعل الحرب الأهلية التي عصفت بالبلاد خلال التسعينيات، حيث تشير الإحصاءات إلى وصول عدد اللبنانيين إلى أقل من ١٠٠٠ بعدما كانوا ١٥ ألفا في عام ١٩٩٦.

ساحل العاج:

وفي ساحل العاج، تعتبر الجالية اللبنانية الموجودة هناك منذ عام ١٩٢٠ الأكبر في القارة السمراء، إذ يزيد عدد أفرادها على ١٢٠ ألفا، وهم يشكلون ركيزة اقتصادية مهمة في البلاد، حيث يسيطر اللبنانيون على ٦٠٪ من الأنشطة الاقتصادية حيث يمتلكون بها أربعة آلاف مؤسسة من بينها ١٥٠٠ مؤسسة صناعية يعمل بها نحو ١٥٠ ألف مواطن من أهل البلاد، وقد حظي اللبنانيون بامتيازات خاصة من قبل الدولة هناك، فمنحتهم دون غيرهم من الجاليات حق العضوية في غرف التجارة والصناعة والزراعة.

نيجيريا:

وفي نيجيريا، تعيش الجالية اللبنانية التي تبلغ حوالي ٣٠ ألفا منذ حوالي ١٢٠ عاما. وقد اندمجت في المجتمع المحلي، فأخذت الكثير من عاداته وتقاليده حتى أصبحت جزءا لا يتجزأ من التركيبة المحلية للبلاد. وبرز منها رجال أعمال كبار لعبوا دورا أساسيا في تحريك الاقتصاد المحلي بحيث أصبحوا عاملا مساهما في التقدم الذي حققته نيجيريا إلى اليوم.

السنغال:

يبلغ عدد المغتربين اللبنانيين في السنغال حوالي ٢٥ ألفا، وهم يعملون حاليا في صناعة الصابون والبلاستيك والحلويات. كما نجحوا في احتلال مراكز مهمة سياسيا وعسكريا واقتصاديا في تلك البلاد، مثل النائب في البرلمان علي صالح،

والجنرال في الجيش فائز برجي.

سيراليون:

هاجر اللبنانيون إلى سيراليون في عام ١٨٩٠ حتى بلغ عددهم ٢٥ ألفا في نهاية التسعينيات، قبل أن يقلوا إلى نحو ٦ آلاف حاليا، بسبب الأزمات في سيراليون، واستقطبت مناجم الماس أعدادا كبيرة منهم، ويعتبر تاجر الماس جميل سعيد اللبناني الأشهر في سيراليون.

غانا:

استطاع اللبنانيون الذين قدموا إلى غانا في مطلع القرن الماضي، أن ينسجوا علاقات متينة مع الشعب الغاني، ويعتبر عددهم الذي يبلغ ما بين ٣- ٥ آلاف متواضعا بالقياس مع عدد اللبنانيين في الدول الإفريقية المجاورة.

أنشطة المهاجرين اللبنانيين في إفريقيا:

تنوعت أنشطة اللبنانيين في إفريقيا، وقد تمثلت في عدة مجالات أساسية متتالية ومتوازية في أوقات كثيرة، ومنها:

١- **الوساطة وتجارة التجزئة:** حيث عمل الكثير من المهاجرين الأوائل كوسطاء للقوى الاستعمارية تجاه الوطنيين حيث اتجهوا إلى المناطق الداخلية من القارة الإفريقية التي أحجم الأوروبيون عن الولوج إليها حيث كانوا يقومون بجمع المحاصيل والمنتجات الإفريقية لبيعها للأوروبيين، وكذا بيع المنتجات الأوروبية إلى الأفارقة في المناطق الداخلية، وهو الأمر الذي جعل الكثيرين منهم يتخصصون في مجالات النقل وما يرتبط به من خدمات.

٢- **تجارة الجملة وخدمات النقل والمواصلات:** امتد نشاط اللبنانيين إلى تجارة الجملة وسيطروا عليها في العديد من دول القارة مع إرهاصات خروج المستعمرين واستقلال تلك البلاد، في ذات الوقت الذي اتسعت فيه أنشطتهم في مجالات الخدمات الفندقية، والأنشطة الترفيهية، وخدمات النقل والمواصلات، والاستيراد والتصدير، وشق الطرق والبناء التي لم تعد تقتصر على النقل البري أو الشحن البحري كما هو الحال في معظم الدول التي يوجد بها اللبنانيون، بل امتدت إلى النقل الجوي الداخلي، على نحو ما حدث في دولة الكونغو برازفيل، والخارجي على نحو ما تشهد خبرة شركة مصطفى الحاج في دولة بنين.

٣- **التصنيع والوكالة:** مثل الاتجاه نحو التصنيع خيارا أساسيا للكثير من المهاجرين اللبنانيين في مرحلة ما بعد استقلال الدول الإفريقية بفعل اتجاه العديد من أبناء الدول الإفريقية إلى الأنشطة التي كانت مقصورة على اللبنانيين، وتنامي قدراتهم في تلك المجالات مع تشجيع حكوماتهم لهذا الاتجاه، وتعتبر مجالات الصناعات البلاستيكية، وصناعة الورق والأخشاب والحلوى، ومستلزمات البناء والدهانات، والمنسوجات والمفروشات، والصناعات الغذائية المختلفة، وصناعات الزيوت والصابون، وصناعة الأدوية، وتجميع السيارات وصناعة الهياكل المعدنية للشاحنات، وكذا استخراج الماس وتصديره خاصة إلى بلجيكا، وإلى جانب نشاط التصنيع استطاع البعض من المهاجرين الحصول على توكيلات بعض الشركات العالمية لاسيما في مجال السيارات والأجهزة الكهربائية، وعملوا كوكلاء وموزعين لهم في الدول الإفريقية.

٤- **الخدمات الفنية والاستشارية والاتصالات:** ارتبطت تلك النوعية من الأعمال بالتطورات سالفة البيان بشأن تركيبة المهاجرين اللبنانيين في المراحل الأخيرة للهجرة في نهايات القرن العشرين، حيث تخصص العديد من المهاجرين في تقديم الاستشارات الفنية في مجالات المعمار والصحة وبناء وتجهيز المستشفيات، والاتصالات وشبكات الإنترنت، والصرافة والأوراق المالية، ويُذكر في هذا المقام أن المهندسين اللبنانيين استطاعوا الحصول على مناقصة تصميم وبناء القصر الجمهوري في دولة غينيا الاستوائية، وكذا عدة مناقصات أخرى لشق وبناء الطرق في عدة دول

وعواصم إفريقية (من ذلك نيامي النيجر، مالابو غينيا الاستوائية، ياوندي الكاميرون .. إلخ).

يعتمد اللبنانيون في معظم مشروعاتهم على الأيدي العاملة الوطنية (الإفريقية)، على أنه يتم الاعتماد في المستويات الأعلى على الكوادر اللبنانية من المقيمين في الدولة الإفريقية أو من يتم استقدامهم خصيصا لهذا النشاط، ففي نيجيريا على سبيل المثال توظف مجموعة شركات شاغوري للتجارة نحو ٠٠٠، ١٠٠ من النيجيريين مقابل ٢٠٠ من الأجانب معظمهم بطبيعة الحال من اللبنانيين، وعلى ذات الصعيد يملك فريد مكارم، اللبناني الأصل، سلسلة من مصانع المفروشات يعمل بها نحو ٤٠٠٠ عامل وطني، ويبلغ عدد الشركات المسجلة بأسماء لبنانيين في جنوب إفريقيا نحو ٣٠٠ شركة، كما سلف بيان أن اللبنانيين أوجدوا نحو ١٥٠ ألف فرصة عمل في ساحل العاج، ولا يختلف الأمر من حيث الطبيعة (الاعتماد على العمالة الوطنية) وإن اختلف من حيث حجم العمالة باختلاف طبيعة النشاط وحجمه من دولة إلى أخرى.

ترتبط عملية اندماج المهاجرين العرب في مجتمعات المهجر في أحد جوانبها بطبيعة هذه المجتمعات ومدى تقبلها لهؤلاء المهاجرين من ناحية، ومن ناحية أخرى مدى استعداد هؤلاء المهاجرين للاندماج في هذه المجتمعات، وقبولهم فيها، إلا أن طموح الكثير من هؤلاء المهاجرين الأوائل كان دافعا لتغلبهم على كل هذه الصعوبات والعقبات، وسعيهم الدؤوب لمحاولات الاندماج في هذه المجتمعات والتغلب على كل محاولات التهميش، وقد لعبت العوامل الاقتصادية والثقافية والتعليمية والدينية دورا كبيرا في عملية اندماج المهاجرين العرب في بلاد المهجر، فقد عجز المهاجرون ذوو الإمكانيات الاقتصادية المحدودة عن تحقيق الاندماج، ولاسيما هؤلاء الذين كانوا من أصول قروية ولم يتجاوزوا مرحلة التعليم الأساسي، ولم يتعلموا اللغة الوطنية، وكان أن تكتل هؤلاء في أماكن ومناطق محدودة خاصة بهم، وربما تمثل هذه المجموعة نمط الانعزال والانفصال عن المجتمع الذي تعيش فيه.

أما المهاجرون الذين تمكنوا من تحقيق ثروات لا بأس بها، وكان مستواهم التعليمي فوق المتوسط ومن القادمين أساسا من المدن، فقد مثلوا نمط الاندماج، وقد عمد هؤلاء إلى تقليل علاقاتهم مع أقرانهم من المجتمعات السابقة، والتي كانوا يرونها عائقا يحول دون اندماجهم في مجتمع المهجر بسبب تشبثهم بعاداتهم وتقاليدهم التي نقلوها معهم من وطنهم الأم إلى بلاد المهجر، ينطبق ذلك على المهاجرين اللبنانيين إلى إفريقيا وغيرها من أصقاع العالم.

حين النظر للتأقلم الحضاري والثقافي والاجتماعي للبنانيين مع مجتمعات المهجر، نلاحظ أن هناك أربعة أنماط له:

الأول: نمط الانعزال والانفصال الكامل للمهاجر عن المحيط الاجتماعي والثقافي الذي هاجر إليه، ويعود سبب هذا الانعزال والانفصال لعدم قدرة المهاجر على التكيف والتأقلم مع عادات هذا المحيط وتقاليده، فيحدث أن يلجأ – مع مجموعة من أقرانه الذين يشاركونه الظروف نفسها- إلى التجمع والتكتل في منطقة سكنية محددة، ويكاد تعامله اليومي فيها يكون مقتصرا على هذه المجموعة من أقرانه، بحيث تقل فرص اختلاطه وتعاملاته اليومية – الحياتية مع الآخرين خارج هذه الدائرة الضيقة، وهذا النمط يتم عادة بشكل اختياري.

الثاني: نمط التهميش، وهو يتم بشكل إجباري للمهاجر يجعله يعيش ما يمكن تسميته بـ (أزمة الهوية) حيث يتم تغريبه عن ثقافته وتقاليده، فلا يسمح له بالمشاركة في أي من مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مجتمع المهجر، بالإضافة إلى تهميشه من جانب هذا المجتمع.

الثالث: نمط الاندماج، وهو يسمح للمهاجر بالمشاركة الفعلية في مختلف مجالات الحياة في

بلاد المهجر، وقد يتمكن المهاجر في الوقت ذاته من الاحتفاظ بشخصيته الحضارية الأصلية وثقافته ولغته، ومنظومة القيم والعادات التي ورثها عن مجتمعه الأصلي، فالمهاجر في سعيه للاندماج في مجتمع المهجر يحتفظ بكل مقومات الإرث التاريخي والثقافي والديني في وطنه الأم.

الرابع: نمط الذوبان (الانصهار) وهنا يصبح المهاجر جزءا لا يتجزأ من المجتمع الذي يعيش فيه، بل يعتبره وطنه الأم، وينشغل بهمومه ومشاكله، وينفصل تماما عن ماضي الآباء والأجداد وتاريخهم وثقافتهم، ويسعى لإقامة علاقات اجتماعية وعائلية خارج مجموعته الإثنية التي ينتمي إليها، بل ويسعى إلى فك ارتباطه وعلاقاته معها، لأنه يرى فيها عائقا يحول دون اندماجه الكامل في المجتمع.

هل يشهد الوجود الشيعي في إفريقيا تضييقا ما؟

تتحدث بعض التقارير الرسمية عن تضييق يتم على الجالية الشيعية في إفريقيا، في حين يقول مسؤول اغترابي رفيع لصحيفة لبنانية: «إنه لا تضييق ممنهجا وواسعا ضدّ اللبنانيين كما يصوّر البعض، ما يوجد هو قرارات متباعدة زمنيا أصدرتها وزارة الخزانة الأميركية أدرجت فيها أسماء عدد من اللبنانيين بتهم تحويل أموال الى حزب الله أو تبييض أموال، واكبتها قرارات مماثلة من بضع دول إفريقية أبرزها توغو وبينين وغانا والسنغال ونيجيريا، باتهام شخصيات بعضها من فعاليّات الجالية اللبنانية في هذه البلاد، والبعض من الأشخاص هم مسؤولون في حزب الله لكنهم قلّة، بينما بعضهم الآخر لا علاقة لهم بالحزب، لا من قريب ولا من بعيد». ويلفت المسؤول المذكور الى أنّ «العدد انخفض من ٢٥ شخصا إلى ١٥ معتقلين، وقد تمّ تجميد أموالهم، بينما أطلق البقيّة وتجري وساطات معهم كي لا يرفعوا دعاوى أمام المحاكم المختصة للتعويض عن الأذى المعنوي والمادّي الذي لحق بهم».

هذه الوقائع دفعت وزارة الخارجية والمغتربين اللبنانية إلى الاتصال بسفراء الدول الافريقية المعنية «لتوضيح الأمور»، ويعتبر المسؤول المذكور أن «اللبنانيين محبوبون في الدول الإفريقية وهم ركيزة في بناء اقتصادها، وأثناء زيارة الرئيس اللبناني السابق ميشال سليمان أبيدجان خاطبه الرئيس العاجي الحسن واتارا، كاشفاً أن المؤسسات اللبنانية تشغّل ٣٥٠ ألف عاجي في حين أن مؤسسات الدولة الرسمية لا تضم أكثر من ١٥٠ ألفا، وأن الضرائب السنوية التي يدفعها اللبنانيون للدولة تبلغ أكثر من مليار دولار أميركي، في حين أنّ إسهامهم في الناتج القومي المحلي يبلغ ١٥ في المئة».

وتحدّثت بعض التقارير عن احتمال أن يحذو الاتحاد الإفريقي حذو الاتحاد الأوروبي بإدراج «حزب الله» على لائحة الإرهاب، في هذا الإطار يقول ديبلوماسي لبناني في إحدى الدول الإفريقية ذات جالية لبنانية كبيرة: «لا علم لدينا بوجود أي لوائح إرهاب لدى الاتحاد الإفريقي، كما أن أي قرار يتّخذه يجب أن يحظى بإجماع كل دولِه، أي ٥٢ دولة، وهذا مستحيل وسط رفض دول عدّة لذلك، ومنها دولة جنوب إفريقيا التي تنتمي إلى دول البريكس».

لكنّ الديبلوماسي المذكور، الذي رفض الكشف عن اسمه، يتوقّع مزيدا من التضييق على المغتربين اللبنانيين في إفريقيا بالنسبة إلى نقل الأموال وإصدار التأشيرات من وإلى أوروبا، وكلّ ذلك بسبب إدراج ما اسمته الدول الأوروبية «الجناح العسكري» لـ «حزب الله» على قائمتها الإرهابية، «فالتضييق مرشّح للتوسّع نظرا إلى التنسيق الإفريقي _ الأوروبي الوثيق»، كما يقول.

من جهته، يعلّق المسؤول الاغترابي اللبناني الرفيع قائلا: «في هذا الملفّ يتمّ خلط السياسي بالإنساني بسبب مشكلة المقاومة مع إسرائيل». ويروي قول أحد المسؤولين الأمنيين الأفارقة له عن كيفية رصد السلطات المعنية للبنانيين يضعون صورا لهم بالسلاح على حساباتهم الشخصية على

الفيسبوك تعلوها صور للأمين العام لحزب الله حسن نصر الله.

وقد شرح المسؤول اللبناني للمسؤول الإفريقي أن قطعة السلاح هي نوع من التراث الذي يحتفي اللبنانيون باقتنائه في بيوتهم، وهذا لا يعني أنهم إرهابيون أو ينتمون إلى «حزب الله» كعسكر، وهم يعيشون مسالمين في إفريقيا وليسوا إلا مناصرين للمقاومة. ويخلص المسؤول الاغترابي إلى القول: «مع الوقت يتبيّن عدم صحة الكثير من الادعاءات، كما حصل مع البنك الكندي الذي ظهر أخيرا أنه لا تترتب عليه أية تهمة مما وضعتها وزارة الخزانة الأميركية، وبالتالي فإن الادعاءات الملفقة غير مقبولة، وهي تدخل في إطار الاستهداف السياسي. الدولة اللبنانية لا تغطي أي مخالف للقانون أو يعمل على زعزعة أمن الدول الإفريقية، لكننا أيضا لا نقبل بالتجني، ونحن نثق بالدول الإفريقية وبرؤسائها ذوي الحس الوطني العالي».

شيعة لبنان في إفريقيا.. الدور والمستقبل:

تشير بعض الإحصائيات الرسمية اللبنانية إلى أن المغتربين اللبنانيين في إفريقيا ينتمي ٧٠ في المئة منهم إلى الطائفة الشيعية، وجلّهم من أهل الجنوب اللبناني، ويدعمون حزب الله اللبناني، وتميزت الهجرات اللبنانية في فترة ما بعد اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥- ١٩٩٠) بزيادة عدد شيعة جنوب لبنان إلى غرب إفريقيا، حيث مثلوا حوالي ٩٠٪ من مجموع المهاجرين اللبنانيين في تلك الفترة، وهو ما تسبب في نشر المذهب الشيعي في العديد من الدول، مثل السنغال التي بلغ عدد الشيعة فيها نحو ٦٠٠٠ شخص، كما أن التجار اللبنانيين الشيعة في دول غرب إفريقيا شكلوا موردا ضخما للتبرعات لحزب الله، وشكلوا مركزا لنفوذ إيران في غرب إفريقيا، بحسب تقارير صحفية لبنانية.

تعتبر منطقة غرب إفريقيا الغنية بالمعادن والمناجم، مصدر تمويل كبيرا وضخما لحزب الله وإيران على حد سواء، فهما اللذان استطاعا الوصول إلى تلك الدول لزرع استثمارات ضخمة درّت أموالا طائلة إليهما، وأسهمت في توسع نفوذ المذهب الشيعي في تلك الدول، وتجنيد مواطنين من تلك البلاد لنشر المذهب، وتتركز استثمارات إيران وشيعة لبنان هناك في مجال المعادن كالماس والذهب، وبحسب صحيفة الشرق الأوسط، فإن تعداد الشيعة في غرب إفريقيا حتى عام ٢٠١٠، تخطى حاجز الـ٧ ملايين، مشيرة إلى أن طهران وحزب الله كانا سبب انتشار هذا المذهب تحديدا بين مسلمي المنطقة.

نقلت قناة العربية الإخبارية، في يونيو من العام الماضي ٢٠١٥م، خبر تغريم بنوك لبنانية أدينت بتهم غسيل أموال تابعة لـ «حزب الله»، وهو ما كشفت عنه تحقيقات مطولة للاستخبارات الأمريكية، أثبتت فيه استخدام الحزب لدول غرب إفريقيا في نقل المخدرات بين عملاء تابعين لهم بأمريكا اللاتينية للتوسع في هذه التجارة في منطقة الشرق الأوسط وأوروبا، وأثبتت التحقيقات أن عناصر حزب الله «يجندون» عملاء جددا في سيراليون والسنغال وساحل العاج، بهدف جمع الأموال لصالحه.

فيما ذكرت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية، أن لبنانيين مقربين من «حزب الله» يسيطرون على تجارة الماس في عدة دول في غرب إفريقيا أهمها غينيا وسيراليون، قائلة إن هؤلاء اللبنانيين يشكلون خطرا على مستثمرين إسرائيليين يعملون بكثافة هم أيضا في هذه التجارة بغرب إفريقيا.

سعت إيران خلال السنوات الخمس الماضية إلى تعزيز وجودها الاستراتيجي والاقتصادي والاستثماري في أفريقيا وسط تنافس على النفوذ بين دول عربية وإيران وإسرائيل على القارة التي تتمتع بموارد مائية كبيرة، وبدأت طهران توسيع استثماراتها خصوصا في البنية التحتية وصناعة السيارات (تم إنشاء مصنع لتركيب السيارات يعد من أهم وأكبر مصانع تركيب السيارات في غرب أفريقيا. كما زادت السنغال من صادراتها إلى إيران حيث قفزت ما بين ٢٠٠٥ و٢٠٠٦ إلى ٢٤٠٪). ومن

النفـوذ الاقتـصادي توسـع النفـوذ الـديني إذ بنـى الإيرانيـون حـوزة علميـة في قلـب العاصـمة داكـار، تـسمى حـوزة الرسـول الأعظـم. ووفقـا لمـصادر عـدة فإنـه يوجـد الكـثير مـن الجمعيـات الـشيعية الناشـطة في الـسنغال، ترعاهـا الجاليـة اللبنانيـة ذات النفـوذ المـالي والاقتـصادي القـوي، ويعمـل بعـض هـذه الجمعيـات في المجـال الاجتمـاعي كمـساعدة الأهالي وبناء المدارس والمستوصفات.

ونقلـت «هـآرتس» آنـذاك عـن تجـار ألمـاس إسـرائيليين في دول غـرب أفريقيـا أن المـشكلة الكـبرى للإسـرائيليين في هـذه المنطقـة هـي أن هنـاك دولا يـسيطر فيهـا لبنـانيون متمـاثلون في الغالـب مـع حـزب الله، علـى صـناعة الألمـاس، وهنـاك دول صـارت تعـرف أن حـزب الله يعمـل كـذراع للنفـوذ الإيرانـي في القـارة. واعتـبرت أن اللبنانيـين يعـدون بـالملايين في أفريقيـا، وقـسم مـنهم شـيعة يـسـاندون حـزب الله بالمـال الـوفير وبالـدعم اللوجيستي، ممـا يـسهل أكثـر نقـل المـذهب الـشيعي وبناء الحوزات العلمية والمراكـز الثقافية.

المراجع:

١- الجاليـة اللبنانيـة في إفريقيـا، مقـال منـشور بموقع وكالة الأنباء الإفريقية (بانا).

٢- الوجـود اللبنـاني في إفريقيـا: قـضايا الماضـي والواقـع، وآفـاق المـستقبل، مقـال منـشور بمجلـة قراءات إفريقية، نوفمبر ٢٠١٤م.

٣- لبنـان في غـرب إفريقيـا.. قـصة الاغـتراب والثـروة، مقـال كتبـه إبـراهيم مـصطفى، منـشور بموقع دوت مصر، على الرابط:
http://old.dotmsr.com/ar/1001/2/106135

٤- ٧ ملايـين شـيعي في غـرب أفريقيـا وتأسـيس «مجمـع أهـل البيـت» في غينيـا، صـحيفة الـشرق الأوسط، ١١ مايو ٢٠١٠ العدد ١١٤٨٧.

داعش واحدة أم دواعش متعددة؟

صباح العجاج(*) - خاص بالراصد

تمهيد:

لا يختلـف أحـد ممّـن يراقـب الـساحة العراقيـة أنّ (داعـش) هـي امتـداد وتطـور لمجموعـة الزرقـاوي، وأن داعـش تمثـل النـسخة العراقيـة لتنظـيم القاعـدة (عرقنـة القاعـدة)؛ لـذلك فـإنّ أصـل داعـش هـو القاعـدة وأخواتهـا بـنفس الأفكـار مـع تطـور معـين فيمـا يخـص إنـشاء دولـة إسـلامية(خلافـة) فـلا زالـت القاعدة ترفض مآلات الفكرة وطريقة تنفيذها.

لكـن الجميـع يتّفـق علـى أنّ ثمـة تناقـضا واضـحا في سـلوك داعـش بـين سـوريا والعـراق؛ فبينمـا هـي تتنـاغم في سـوريا مـع مخططـات النظـام الـسوري وإيـران وروسـيا ضـد جميـع فـصائل الثـوار، نجـد في العـراق صـدام وصـراع مـع الحكومـة العراقيـة الـشيعية وميلـشيات الحـشد الـشعبي الـشيعية في جبهـات معينـة دون غيرهـا، بمعنـى آخـر هـي ضـد المحـور الإيرانـي في العـراق نوعـاً مـا لكنهـا معـه في سوريا، وهذا هو التناقض الأول.

أمـا التنـاقض الثـاني فيتمثـل في اخـتلاف المنـتمين لـداعش، فـدواعش العـراق هـم: شـباب (جهـادي) يحمـل فكـرا متطرفـا،من جميـع دول العـالم، مـع ضـباط سـابقين مـن الجـيش العـراقيمن ذوي الفكـر القـومي والبعثـي، مـع أبنـاء بعـض العـشائر المعارضـينللتوجهات الإيرانيـة، مـع بعـض أفـراد فـصائل المقاومـة العراقيـة الـتي تركـت فـصائلها وانتمـت لـداعش. بينمـا داعـش في سـوريا أكثـر تجانسًا تقريبـاً في الفكـر، فهُـم مـن الـشباب الجهـادي الأكثـر تطرفـاً، ولربمـا يتكـرر هـذا في داعـش ليبيـا الـتي هـي قيد التشكل.

(*) كاتب عراقي.

سهولة الاختراق:

القاعدة وأخواتها منذ زمن تأسيسها وهي مكوناتمنفتحة على كل المقبلين عليها، وهي تعتمد على الترويج الإعلامي في نشر فكرها، وساعد هذا على سهولة اختراقها على مستوى الأفراد وقياداتها، ولعل قصة أبي القعقاع السوري مثال بارز لذلك.

وحصل هذا في الجزائر قديماً وفي العراق وغيرهما، فقد استطاعت المخابراتوالأجهزة الأمنية لقوى عالمية وإقليمية ومحلية أن تخترق القاعدة وتزرع رجالها داخل هذا المكوّن،وأن تتعرف على القاعدة وهذه الجماعات عن كثب، بل وقيادتها لأجندات تخدم سياسة هذه الدول، وتجربة الجزائر وسوريا قبل الثورة أكبر شاهد على ذلك! وداعش ليست استثناء من ذلك، بل داعش أعدمت علنًا عدد من قادتها بتهمة العمالة لمخابرات دولية ومحلية.

براغماتية القاعدة وداعش:

تدعي القاعدة وداعش أنهما تحملانعقيدة الولاء والبراء النقية، لكن المراقب لتصرفات القاعدة يجدها بعيدة كل البعد عن ذلك؛ فهي تتناقض مع طروحاتها بشكل مستمر؛ وتتعامل بكل أريحية مع كل التوجهات المعادية للإسلام إذا تماشىذلك مع مصالحها الخاصة؛ لذا فهي تتعامل بإيجابية مع القوى الشيعية والإيرانية كما تبين من ردود القاعدة وداعش على بعضهما البعض مع أنهما تكفّرانها في أدبياتها، وتتعامل مع الغرب روسيا وإيران وأجهزتها الأمنية مع أنهما تفجّرهموتكفرهم، وقد اعترف الأمريكان عدة مرات بإنزال أسلحة ومعدات بالخطأ في مناطق داعش! أما عقد الهدن والتفاوض مع النظام السوري فلا تعد، وغير ذلك كثير.

كل هذه التناقضات الواضحة مع سهولة الاختراق سهّل الأمر لمن يخطط ضد الأمة أن يستعمل هذه الجماعات لخدمة مصالحه، لكن الجديد في الأمر - وهو الواقع- معرفة ماذا يحصل لو اختُرقت داعش من أكثر من جهة أو جهاز أمني وتكونت عدة توجّهات متناقضة المصالح داخل داعش؟ وهذا هو عمود مقالنا.

دور حجي بكر في هذا الأمر:

شخصية حجي بكر الذي قتل باشتباك مع المعارضة السورية في كانون الثاني من سنة ٢٠١٤، والذي كان مستقرا في منطقة تل رفعت في سوريا(شمال حلب)؛ هو ضابط(عقيد طيار) سابق في المخابرات العراقية اسمه (سمير عبد محمد الخليفاوي)[١]، وهو القائد العسكري الحقيقي لداعش وقد عمل في المقاومة العراقية بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، وألقي القبض عليه وسجن في سجنبوكا وأبو غريب(٢٠٠٦- ٢٠٠٨م) وبعد خروجه انتمى لدولة العراق الإسلامية، وتدرّج فيها وأصبح من أهم القيادات داخل داعش، ثم عمل داخل النصرة في ثورة سوريا وبدأ يخطط لتكوين داعش للسيطرة على العراق.

حجي بكر هو أحد المخططين لتشكيل نظام محكم للسيطرة لصالح داعش، عبر تجنيد العشرات للتجسس والرصد وتنفيذ الاغتيالات وكان يجند ضباط المخابرات العراقية والسورية وحتى الأطفال، وهذا الأمر سهل على أفراد الأجهزة الأمنية التي تعمل كشخصيات مزدوجة الولاء.

وهذه الخلفية الأمنية تمثلت في خطط حجي بكر الذكية والمذهلة في تأسيس داعش وانتشارها، والتلاعب في بناء العلاقات المتناقضة.

فحجي بكر كان يتصرّف داخل سوريا بخلاف تصرفه داخل العراق، لاختلاف طبيعة الشعبين وظرفهما، واختلاف قضيتهما، فالقضية في سورية ثورة سورية بحتة محلية الهدف، أما في العراق فأمرها مختلف، فهي موجهة ضد الاستبداد الشيعي وإيران بصورة مباشرة.

كما أن حجي بكر عرف أن للنظام السوري

---

(١) ليس حجي بكر هو الضابط الوحيد الذي ينتمي للنظام السابق في داعش، بل أكثر القيادات الفاعلة في داعش منهم،مثل: وليد جاسم العلواني، العميد محمد ندى الجبوري، وأبو فيصل الزيدي، وأبو مهند السويداوي، وعدنان إسماعيل نجم، وغيرهم.

رغبة في التخلّص من المعارضة لذلك نسّق معهم لتوسعة داعش هناك وسهل له النظام ذلك، عبر ضرب مناطق المعارضة جوا، وتسهيل سيطرة داعش على الأرض وتوسيع رقعتها.

التناقض في علاقات داعش:

سعى حجي بكر والضباط العراقيون السابقون في الجيش العراقي لتوظيف داعش في خدمة مصالحهم الخاصة، التي كان من أهمها ضرب إيران والأحزاب الشيعية في العراق ضمن بُعد قومي وليس دينيامع استخدام البعد الديني الجهادي!

لكن هذه الرغبة للعسكريين الدواعش اصطدمت بموقف بعض الجهاديين الدواعش الرافضين لذلك اتباعا لمنهج القاعدة العام الذي ينحاز للهدنة مع إيران والشيعة بسبب مصالح القاعدة بتوفير ممر عبور واستراحة لهم فضلاً عن تواجد كثير من عوائل قادة القاعدة في إيران والذين هم بمثابة ورقة ضمان بيد طهران من عمليات القاعدة، واعترف بذلك أبوعطية الليبي[1] وهو موقف الظواهري المشهور.

وانعكس هذا التضارب في مواقف وسياسة داعش في العراق من خلال مهاجمة داعش أو جناح منها للأحزاب الشيعية في العراق، لكن داعش أو أجنحة منها أيضا امتنعت عن إسقاط النظام الشيعي بعد سيطرتها على الموصل، حيث لم تهاجم بغداد رغم قدرتها على ذلك في مطلع ٢٠١٤، ويتناغم مع هذا الموقف المهادن للشيعة التزام داعش بتصريح وزير الدفاع الإيراني بعدم الاقتراب من الحدود الإيرانية لمسافة ٤٠ كم! مما يلمح لجناح داعشي يحابي الشيعة وإيران في العراق وسوريا.

بالمقابل فإن التدقيق بمواقف داعش العراق على جبهات القتال يكشف عن تباينات كبيرة في أحوال الحرب والهدنة؛ فمعلوم أن ديالى سلمتها داعش للمليشيات الشيعية بصفقة قوامها ٢ مليار دولار سلمها هادي العامري لداعش! وقد علمتبذلك القيادات الكردية ورئيس البرلمان سليم الجبوري فيما بعد.

كما أن داعش تتناغم في كثير من الجبهات وخاصة جبهة مدينة تكريت مع الأمريكان، فعندما حاول الحشد الشعبي دخول تكريت صدّته داعش، وعندما قرر الأمريكان التدخّل سقطت المدينة بكل سهولة ويسر، بل انسحبت داعش بسلام ولم يعثر لها على أثر!

وهذا ما تكرر حصوله في الرمادي حيث حاول الحشد دخولها منذ ثمانية أشهر ففشلوا، ولما أرادت أمريكا فرض الجيش العراقي والعشائر السنية بدلاً من مليشيات الحشد الشيعيتحررت الرمادي!

ولعل رسالة أمريكا من ذلك أن هزيمة داعش منوطة بها وأن الحشد الشيعي مهما حاول فداعش أقوى منه، وهذا يؤكد أنّ تحركات داعش/داعشات تتناغم مع مصالحها من جانب، كما أنها تتناغم مع جغرافية المنطقة ومصالح الجهات المختلفة في المنطقة.

في الآونة الأخيرة جرت محاولات روسية بوساطة كردية لاختراق داعش من خلال القيادات (العفرية) التي تنتمي إلى مدينة تلّعفر، وتتميز بالتطرف والغلو في التكفير، لإيجاد موطئ قدم للروس في القيادة، لكن الأمر كشف، وجرت تصفيات أمريكية للقيادات الروسية من داعش في إنزالات الحويجة المتتابعة!

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في كتاب «الجماعات الإسلامية وإيران»، لسعيد بن حازم السويدي.

السيداو... بين الطرح النظري وآليات التطبيق

فاطمة عبد الرءوف[*] – خاص بالراصد

لعلها أخطر مواد السيداو على الإطلاق، تلك هي المادة الثانية من الاتفاقية، والتي تمثل منهجيتها في العمل، فهذه المادة كفيلة بتحويل فكرة المساواة الحرفية التي تدعو لها الاتفاقية من مجرد طرح نظري وفكري إلى واقع عملي تطبيقي حيث تنص هذه المادة على:

«(أ) إدماج مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في دساتيرها الوطنية أو تشريعاتها المناسبة الأخرى، إذا لم يكن هذا المبدأ قد أدمج فيها حتى الآن، وكفالة التحقيق العملي لهذا المبدأ من خلال التشريع وغيره من الوسائل المناسبة.

(ب) اتخاذ المناسب من التدابير، تشريعية وغير تشريعية، بما في ذلك ما يناسب من جزاءات، لحظر كل تمييز ضد المرأة.

(ج) فرض حماية قانونية لحقوق المرأة على قدم المساواة مع الرجل، وضمان الحماية الفعالة للمرأة، عن طريق المحاكم ذات الاختصاص والمؤسسات العامة الأخرى في البلد، من أي عمل تمييزي.

(د) الامتناع عن مباشرة أي عمل تمييزي أو ممارسة تمييزية ضد المرأة، وكفالة تصرف السلطات والمؤسسات العامة بما يتفق وهذا الالتزام.

(هـ) اتخاذ جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة من جانب أي شخص أو منظمة أو مؤسسة.

(و) اتخاذ جميع التدابير المناسبة، بما في ذلك التشريعي منها، لتغيير أو إبطال القائم من القوانين والأنظمة والأعراف والممارسات التي تشكل تمييزاً ضد المرأة.

(ز) إلغاء جميع الأحكام الجزائية الوطنية التي تشكل تمييزاً ضد المرأة».

فالنقطة (أ) تطلب أن يتم وضع مادة في الدستور تنص صراحة وبدون مواربة على مبدأ التماثل والمساواة الحرفية بين الرجل والمرأة في القانون الأعلى لكل البلد وهو الدستور ومن ثم في التشريع والقوانين المختلفة التي تحقق ما تم إقراره في الدستور.

والنقطة (ب) تتحدث عن تشريعات جزائية، أي عقوبات بسيف القانون لمن يخرق مبدأ المساواة هذا، أما النقطة (جـ) فتأخذ خطوة أكبر على أرض الواقع عن طريق إنشاء محاكم خاصة تختص بالقضايا المتعلقة بالتمييز ضد المرأة، والنقطة (د) تخاطب المؤسسات الرسمية للدولة والسلطات لتكون في مقدمة الجهات التي تتبنى المساواة، بينما تنطلق النقطة (هـ) لتطالب المنظمات والهيئات غير الرسمية بل حتى والأشخاص لاتخاذ جميع التدابير المناسبة لإقرار مبدأ المساواة، وتصل المادة الثانية لذروتها في النقطة (و) حيث الحديث عن تدابير شاملة تشريعية وغير تشريعية، أي استخدام كل وسائل القوة الناعمة من إعلام وخلافه بالإضافة لقوة القانون والمحاكم الخاصة لتغيير القوانين الموجودة وإبطالها بل وتغيير جميع النظم المجتمعية والأعراف التي تمثل خروجا على مبدأ المساواة كما تقره الاتفاقية، وتأتي النقطة (ز) وهي الأخيرة في المادة الثانية لتنص صراحة وبمزيد من التأكيد على إلغاء جميع الأحكام الجزائية الوطنية التي تشكل تمييزاً ضد المرأة.

لذلك فليس من المبالغة القول إن المادة الثانية هذه تمثل روح الاتفاقية التي تحول الاتفاقية من مجرد طرح أفكار ومبادئ نظرية لحقيقة واقعية على الأرض، لذلك تحفظت الكثير من الدول العربية عليها، مثل: مصر، سوريا، المغرب، العراق، البحرين، الجزائر، قطر، ليبيا.

أما دولتا موريتانيا والمملكة العربية السعودية، فقامتا بالتحفظ على جميع المواد التي تتعارض مع الشريعة الإسلامية.

---

[*] كاتبة مصرية.

أما باقي الدول العربية فلم تتحفظ على المادة الثانية، يبقى موقف المغرب يكتنفه الغموض حيث أعلن ملك المغرب محمد السادس في رسالته بمناسبة الذكرى الستين للإعلان العالمي لحقوق الإنسان أمام المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان عن إلغاء تحفظات المغرب على اتفاقية إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة، وكانت المغرب قد صدقت على الاتفاقية عام ١٩٩٣ وذكر الملك أنه لم يعد هناك حاجة لوجود تلك التحفظات بعد صدور قانون الأسرة المغربي الجديد.

وأصدرت الجمعية الديمقراطية لنساء المغرب بياناً سجلت فيه ارتياحها لقرار إلغاء التحفظات، وهو ما تعتبره انتصاراً كبيراً لحملة «المساواة دون تحفظ» الخاصة برفع التحفظات والتوقيع على البروتوكول الاختياري للسيداو، إلا أن المغرب أبقى على تحفظاته على بعض المواد الجزئية على الرغم من ذلك وبخصوص المادة الثانية فإنه قد صرح عند التوقيع بأنه يقبل المادة الثانية من السيداو بشروط وذلك النص الرسمي لتحفظ المغرب على المادة الثانية: «تعرب حكومة المملكة المغربية عن استعدادها لتطبيق مقتضيات هذه المادة بشرط:

ـــ ألا تخلّ بالمقتضيات الدستورية التي تنظم قواعد عرش المملكة المغربية.

ـــ ألا تكون منافية لأحكام الشريعة الإسلامية، علما بأن بعض الأحكام الواردة في مدونة الأحوال الشخصية المغربية التي تعطي للمرأة حقوقا تختلف عن الحقوق المخولة للرجل لا يمكن تجاوزها أو إلغاؤها، وذلك نظرا لكونها منبثقة أساسا من الشريعة الإسلامية التي تسعى، من جملة ما تسعى إليه، إلى تحقيق التوازن بين الزوجين حفاظا على تماسك كيان الأسرة»، وعندما رفع المغرب تحفظاته أبقى على تصريحه الأول فقط الخاص بتنظيم قواعد العرش.

جدوى التحفظ

يمكن تفسير هذا التحفظ من هذه الدول بأنه لون من المناورة، فمن جهة تبدو هذه الدول مسايرة للشرعة الدولية للمرأة، ومن جهة أخرى تلتف عليها حتى لا تتحول هذه المساواة المخيفة لواقع فعلا.

ولكن فاتهم أن مجرد الانضمام للاتفاقية يشبه المصيدة التي يصعب التخلص منها حيث نصت المادة (١٩) من اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات لسنة ١٩٦٩ على اشتراط ألا يكون التحفظ على الاتفاقية منافياً لموضوع الاتفاقية وغرضها كما أكدت المادة (٢١) من قانون المعاهدات على بطلان أي تحفظ ينافي موضوع الاتفاقية وغرضها، ونصت المادة (٢٨) من اتفاقية السيداو ذاتها على عدم جواز إبداء أي تحفظ يكون منافياً لموضوع هذه الاتفاقية وغرضها.

ومن ثم وبعد الانضمام للاتفاقية مع ترك الباب مفتوحا للتحفظات تحاصر الدول وتطالب برفع تحفظاتها مثلما يفعل المجلس القومي للمرأة بمصر الذي يلحّ على رفع التحفظ على هذه المادة ومن ذلك ما تم نشره على موقعه الالكتروني (هدف اتفاقية السيداو هو تحقيق المساواة في الحقوق بين الجنسين، والقضاء على كل مظاهر وأشكال التمييز بينهما. لذلك لا يجوز إبداء أي تحفظ يخالف هذا الهدف ويتنافى بالتالي مع موضوع الاتفاقية وغرضها، فهذا التحفظ يبطل ولا يترتب عليه أي أثر، ولا يعفي الدولة المصدقة على الاتفاقية من التزامها بأحكام الاتفاقية وبالقضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة، بما فيها أشكال التمييز التي تحفظت بشأنها).

ومن ثم يتم خص المادة الثانية من اتفاقية السيداو بدفاع مطول مستفيض من قبل أنصارها وكيف أنها لا تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية، لأنهم لا يستطيعون مهاجمة الشريعة الإسلامية بصورة مباشرة وإلا سيواجهون بعاصفة من الغضب الشعبي، ولذلك البديل الآمن هو الترويج للسيداو باعتبارها لا تتعارض مع الشريعة

الإسلامية التي تخضع لقراءات متنوعة وفقا لخطتهم الهجومية، وتوصف هذه القراءات بأنها قراءات فقهاء بشر غير معصومين، وغالبا ما يتم وصف الفقهاء من هؤلاء النسويات بأنهم فقهاء ذكوريون يخضعون لرهانات الرجال ومن ثم يتم اصطناع فقهاء حداثيين تتطابق رؤاهم مع الشرعة الدولية العلمانية والحداثية لحل إشكالية التناقض والتعارض بين أحكام الشريعة وأحكام السيداو!

إنهم يمتدحون عدالة الشريعة، ثم يسقطون ذلك على السيداو على اعتبار أن العدالة في الشريعة هي بعينها المساواة التي يروجون لها! حيث يزعمون: (الذي نراه بخصوص المادة الثانية من اتفاقية السيداو أنها لا تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية، للأسباب التالية:

- المادة الثانية قد تخالف قوانين أو ممارسات واقعية تمييزية في المجتمع لا شأن للشريعة الإسلامية بها، بل إن المتأمل في هذه القوانين أو الممارسات يدرك أنها هي ذاتها التي تخالف الفهم الصحيح لأحكام الشريعة الإسلامية الغراء التي لا تقر تمييزاً ولا تقبل ظلماً.

- أن التحفظ على المادة الثانية بزعم مخالفتها للشريعة الإسلامية ينطوي ضمناً على الادعاء بأن الشريعة الإسلامية لا تقر المساواة بين الرجل والمرأة، وأن أحكامها تكرس اللامساواة. والحقيقة أن الإسلام ليس مسؤولاً عن الوضعية القانونية والواقعية الظالمة للمرأة في أغلب المجتمعات الإسلامية، لأنها نتاج ثقافة مجتمعية تجاه المرأة تضعها دائماً في وضع الدونية، وليس هذا هو شأن المرأة في الشريعة الإسلامية.

- أن التحفظ على المادة الثانية ليس سببه تعارضا فعليا بين نص المادة وأحكام الشريعة الإسلامية، ولكنها تحفظات احتياطية أبديت على مظنة التعارض بين النص الدولي وبعض الاجتهادات الفقهية. وقد يكون مبعث التحفظ سوء الفهم للمضمون الحقيقي للنص المتحفظ عليه، أو الرغبة في التوافق مع ثقافة مجتمعية غير إسلامية تقوم على الاعتقاد الخاطئ بتفوق أحد الجنسين على الآخر، وهي ثقافة تفرز أنماطاً سلوكية تمييزية ينبغي العمل على تغييرها بالوسائل التشريعية وغيرها من الآليات المناسبة، بدلاً من التحفظ على النص الدولي الذي يقرر الإجراءات والتدابير والآليات الواجب اتباعها لإزالة كل أشكال التمييز ضد المرأة).

إنهم يتلاعبون بكل الأوراق، فالأحكام الجزائية في بلد كمصر ليس مصدرها الشريعة ولا تطبيق الحدود، وهي تعاقب المرأة عقابا أشد في جريمة الزنا والدعارة، ولا تكاد تعاقب الرجل، ويدعو أصحاب الحل الإسلامي لتطبيق الحكم الشرعي في هذه الجريمة، وغيرها ولكن المجلس القومي يدخل من هذه الثغرة ليؤكد أن الأحكام الجزائية التي تمثل تمييزا ضد المرأة ليست من صنع الشريعة حتى يتم التحفظ على المادة الثانية بحجة تعارضها مع الشريعة.

فيقولون: (إن موضوع المادة (٢) هو القضاء على كل أشكال التمييز ضد المرأة، والتمييز ضد المرأة لا يمكن أن يكون مصدره الشريعة الإسلامية، وإنما النصوص التمييزية في القوانين القائمة. ولا يجوز لدولة أن تحتج بنصوص قوانينها الداخلية لتفلت من الوفاء بالتزاماتها الدولية بتحقيق المساواة إعمالاً للاتفاقية التي صدقت عليها. ونضرب مثالاً على ذلك بالفقرة الأخيرة من المادة الثانية من الاتفاقية التي تلزم الدول «بإلغاء جميع الأحكام الجزائية الوطنية التي تشكل تمييزاً ضد المرأة». وليس في ذلك أدنى تعارض مع الشريعة الإسلامية التي لا تميز في التجريم والعقاب بين الرجل والمرأة، بل هذا التعارض قائم بين نص الاتفاقية وبعض نصوص قانون العقوبات المصري الذي يميز في التجريم والعقاب بين الرجل والمرأة، كما هو الحال في جريمة الزنا أو جريمة ممارسة الدعارة مثلاً. لذلك فنصوص قانون العقوبات التمييزية هي التي تتعارض مع الشريعة الإسلامية ومع الاتفاقية الدولية في آن واحد. لذلك يكون

المقصود من التحفظ على هذه المادة الإبقاء على النصوص التمييزية في التشريع المصري التي تتضمن تمييزاً ضد المرأة تحت ستار التذرع ظلماً بأحكام الشريعة الإسلامية).

تطبيق عملي:

بعيدا عن الفكر والتنظير بإمكاننا عمل مقارنة واقعية بين دولتين إحداهما تحفظت على المادة الثانية من السيداو وهي مصر، والدولة الأخرى لم تتحفظ على المادة وهي تونس، لنستطيع أن ندرك الفارق الواقعي النوعي لواقع النساء في الدولتين، وإلى أي حد تماهت السيداو مع نصوص الدستور ومواد القانون.

١- **نموذج مصر**: جاء دستور ٢٠١٤ ليؤكد على قضية المساواة، فالمادة (١١) تنص على أنه (تكفل الدولة تحقيق المساواة بين المرأة والرجل في جميع الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وفقاً لأحكام الدستور. وتعمل الدولة على اتخاذ التدابير الكفيلة بضمان تمثيل المرأة تمثيلاً مناسباً في المجالس النيابية، على النحو الذى يحدده القانون، كما تكفل للمرأة حقها في تولي الوظائف العامة ووظائف الإدارة العليا في الدولة والتعيين في الجهات والهيئات القضائية دون تمييز ضدها. وتلتزم الدولة بحماية المرأة ضد كل أشكال العنف)، هذا النص الصريح يضع مساواة المرأة بالرجل في كافة الحقوق كمبدأ دستوري بل يشرحه تفصيلا: المساواة في الوظائف العامة والإدارة العليا والهيئات القضائية ويستخدم لفظ «التمييز» في المادة الدستورية حيث «مساواة بلا تمييز» ويعتبر ضمنا أن التمييز هو لون من العنف، لذلك تكون بقية النص (أن الدولة ملتزمة بحماية المرأة ضد كل أشكال العنف).

وهناك أيضاً المادة (٥٣)التي تنص على: (المواطنون لدى القانون سواء، وهم متساوون فى الحقوق والحريات والواجبات العامة، لا تمييز بينهم بسبب الدين، أو العقيدة، أو الجنس، أو الأصل، أو العرق، أو اللون، أو اللغة، أو الإعاقة، أو المستوى الاجتماعي، أو الانتماء السياسي أو الجغرافى، أو لأي سبب آخر.

تلتزم الدولة باتخاذ التدابير اللازمة للقضاء على كافة أشكال التمييز وينظم القانون إنشاء مفوضية مستقلة لهذا الغرض).

هذا النص الدستوري كأنه تطبيق عملي للفقرة (ج) من المادة الثانية من اتفاقية السيداو التي تدعو لمحاكم ومؤسسات لمكافحة التمييز، وهنا الدعوة لإنشاء مفوضية لمنع أي تمييز يقع على المرأة، وتلقفت النسويات المصريات هذه الفكرة، وهن الآن في مرحلة مناقشة آلية عمل هذه المفوضية، وعلى المستوى السياسي نصتً المادة (١٨٠) من دستور ٢٠١٤ على تخصيص ربع عدد مقاعد المجالس الشعبية المحلية للمرأة.

وحث الدستور الجديد على أن تتخذ الدولة التدابير الكفيلة بضمان تمثيل المرأة تمثيلاً مناسباً في المجالس النيابية على النحو الذى يحدده القانون، وبالفعل نجحت ٨٩ سيدة، منهن ١٤ معينات في البرلمان الأخير، ولنا عدد من الملاحظات:

- الدستور المصري لا يتعارض مع المادة الثانية من السيداو، بل هناك مواد تتطابق لما تدعو إليه المادة الثانية رغم تحفظ مصر على هذه المادة.
- القوانين المصرية خاصة فيما يتعلق بمسائل الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث هي التي تتعارض مع المادة الثانية من السيداو.
- يبدو في الأفق محاولات لتشكيل هيئة نسوية لمراقبة أعمال التمييز «مفوضية» بحيث تشكل قوة ضغط كبرى على صانعي القرار.

وفي هذا الصدد لا يمكن تجاهل ما قامت به رئيسة المجلس القومي للمرأة ميرفت التلاوي في مطلع العام الحالي من توجيه رسالة إلى مجلس الدولة مطالبة بقبول المرأة في المجلس مراعاة لما جاء في دستور ٢٠١٤ بما في ذلك قبولها في وظائف قضائية، ورد المجلس بتقديم شكوى ضد التلاوي «نظرًا لما انطوى عليه هذا الخطاب من أسلوب خارج عن المألوف في مخاطبة مجلس الدولة».

ولا يمكن فهم ما قامت به التلاوي منفردا عما قامت به منذ فترة قريبة عندما أعلنت أمام مجلس الأمم المتحدة لحقوق الانسان في جنيف أن عقلية صانعي القرار في الحكومة الحالية والحكومة القادمة أيضًا هي العقبة الرئيسية أمام تنفيذ أحكام الدستور بشأن حقوق المرأة، وهو استقواء واضح بالخارج، وهو استقواء يتماشى مع روح ونص اتفاقية السيداو التي تمثل الشرعة الدولية والتي تطالب في مادتها (٢٩) للاحتكام الدولي في مسائل التمييز كما سيأتي لاحقا، نستطيع القول إذن إن التمهيد العملي على أرض الواقع والضغوط المكثفة من قبل التجمعات النسوية هي مفتاح سحب مصر لتحفظها على المادة الثانية من اتفاقية السيداو.

٢- **نموذج تونس:** وهي التي لم تتحفظ على المادة الثانية من اتفاقية السيداو، وذلك لأن مجلة الأحوال الشخصية التونسية تقف شاهدة على ماهية المساواة وعدم التمييز الذي يطلب من جميع الدول العربية، فقد أرست المجلة التونسية للأحوال الشخصية حقوقا متعارضة مع أحكام الشريعة الإسلامية، أهمها:

جعل الزواج مدنيا يبرم بحجة رسمية ولا يفك إلا بقرار قضائي، علاوة على منع تعدد الزوجات، وتكريس حق الزوجة في طلب الطلاق، ونظام الاشتراك في الأملاك بين الزوجين.

هذه المخالفات للشريعة الإسلامية أصبح لها مدافعون يدافعون عنها باستماتة، وهؤلاء لهم ثقلهم ودورهم الفاعل في صياغة مستقبل بلدهم، واتضح ذلك في صياغة الدستور الجديد عقب الثورة، فحتى حزب حركة النهضة التزم بالحفاظ على مجلة الأحوال الشخصية والعمل على تطويرها واعتبرها ثمرة لاجتهادات فقهية لا تتعارض مع ما يطرحه من مشروع واعتبرها اجتهادا مقبولا متماشيا مع روح الوسطية والاعتدال في التعامل مع الشريعة الإسلامية!

ومن ثم لم يجرؤ أحد على المساس بمجلة الأحوال الشخصية التونسية، وكانت النتيجة أن دعم الدستور الجديد هذه المخالفات الشرعية بجملة من الإجراءات، إذ نصّ الفصل ٦٥ منه على أن قوانين الأحوال الشخصية هي من القوانين الأساسية، أي قوانين لابد لها من إجراءات خاصة في التعامل معها في البرلمان ولا تتم المصادقة عليها إلا بالأغلبية المطلقة مما يجعل تغييرها من الأمور بالغة الصعوبة.

أما الفصل ٤٦ فقد نص «على أن الدولة تسعى لتحقيق التناصف بين المرأة والرجل في المجالس المنتخبة»، هذا يعني أن الدولة التونسية تسعى للمساواة المطلقة بطريقة حرفية، بحيث يكون نصف المرشحين من الإناث ومن ثم السعي ليكون نصف أعضاء البرلمان من الإناث بغض النظر عن الكفاءة أو مصلحة الأمة، في سابقة لا توجد في أي بلد من بلدان العالم، حتى تلك التي توصف بالديمقراطيات العريقة.

لكن قانون الانتخابات التونسية جاء بالتنصيص في القوائم الانتخابية أي التناصف العمودي فكل قائمة انتخابية حزبية كانت أو ائتلافية لابد أن يكون نصف أعضائها من الإناث ولم يتم النص على ترتيب النساء داخل القائمة مما أثار حفيظة النسويات اللاتي تقدمن بطعون على قانون الانتخابات لأنه وبطريقة التناصف العمودي هذه لن يتحقق الهدف من الفصل (٤٦) وإنما الذي يحققه هو التناصف الأفقي، من خلال إلزام كل الاحزاب والائتلافات الانتخابية التي تترشح في أكثر من دائرة انتخابية بضمان التناصف في رئاسة قوائمها بين الجنسين، وهو أمر يعطي حظوظا كبيرة لرئيسات القوائم بالفوز في الانتخابات، ومن ثم حدوث التناصف الفعلي للنساء داخل البرلمان ولكن الهيئة القضائية قامت برد الطعن وقالت «إن المقصود بالسعي نحو التناصف هو بذل عناية لا غير «وعلى الرغم من فوز النساء بنسبة ٣١٪ في البرلمان إلا أن النسويات التونسيات يرين أن ما تحقق أقل بكثير من المنشود، وأن تونس لا تزال تخضع للعقل الذكوري، وأن تونس لا يزال أمامها طريق طويل

للحد من التمييز الجنسي وتحقيق المساواة بين الجنسين.

ومعركة النسويات القادمة في تونس هي قضية المواريث، حيث لا تزال تخضع لأحكام الشريعة الإسلامية، فهن يرين في تقسيم المواريث بحسب أحكام الشريعة تمييزا ضد المرأة! إنها الرغبة المتوحشة للتمدد والتوغل داخل المجتمع وإلغاء شريعته واستبدالها بالشرعة الدولية، ففي رأيهن كانت مجلة الأحوال الشخصية تقدمية وثورية سنة ١٩٥٦ وليس الآن، هذا ما قالته الرئيسة الجديدة للجمعية التونسية للنساء الديمقراطيات منية بنت جميع التي طالبت بالمساواة التامة في الإرث، وطالبت وسائل الإعلام بالالتفاف حول هذا المطلب المشروع، وأرجو ألا تكون الخطوة القادمة فتوى بأن المساواة التامة في الميراث في ظل العصر الحديث هو ما يتلاءم مع روح الوسطية والاعتدال في الشريعة الإسلامية.

تشكل مصر نموذجا لدولة تحفظت على المادة الثانية من اتفاقية السيداو ويتم الضغط عليها بشتى الطرق حتى تسحب تحفظها، وفي الوقت ذاته يتم تغيير واقعها حتى يصبح تحفظها لا قيمة له بفعل الواقع الذي يتشكل في ظلال العلمانية والقمع وجماعة النسويات.

وتشكل تونس نموذج دولة لم تتحفظ على هذه المادة، لأنها بالفعل قطعت شوطا كبيرا منذ منتصف القرن الماضي في جعل دستورها وقوانينها الشخصية ترجمة لهذه المساواة رغما عن أنف مواطنيها وعن اعتقادهم، والباب لا يزال مفتوحا على مصراعيه للمزيد من تلك المساواة البائسة.

إيران: واستراتيجية الأحلاف المؤقتة مع العلمانيين واليساريين والقوميين

طلعت رميح(*) – خاص بالراصد

أخذت تجربة الشعوب العربية مداها مع السياسة الخارجية والدور الإيراني، وبات طبيعيا أن يجري الوصول إلى خلاصات بعد أن جرى اختبار تلك السياسة وهذا الدور الإيراني في دول كثيرة من العراق إلى سوريا ولبنان واليمن والبحرين، خاصة وقد جرى هذا الاختبار عبر أعمال قتل وتهجير وحروب أهلية دموية كانت إيران هي الفاعل الرئيسي فيها.

لقد اختبرت إيران في العراق عبر سنوات طويلة من الحرب بين دولتين ومن بعد تعمق هذا الاختبار خلال مشاركة إيران في أعمال غزو واحتلال العراق وهو اختبار تواصل عبر تشكيل إيران ميلشيات طائفية قتلت وشردت ودمرت وما تزال تفعل، وانتقل الاختبار إلى سوريا فوقفت إيران وميلشياتها في صف نظام قاتِل وتولت هي قيادة أعمال القتل والتهجير وقادت المذابح وحروب التجويع، وهكذا تواصلت تجارب الدول العربية وامتدت وما تزال حالة الاعتداء الإيراني بكافة جوانبها متواصلة بل هي في تصاعد شرس.

وخلاصة تلك التجارب أن جمهور المسلمين بات موقناً أن إيران وقفت ضد حرية الشعوب المضطهدة وهي تعادي ثورات الشعوب نحو الحرية والكرامة بالقتال والحرب وليس بالدعاية والسياسة فقط.

(*) كاتب مصري.

وظهــر لجمهــور المــسلمين أن إيــران لا تعــادي الولايـــات المتحـــدة ولا الكيـــان الـــصهيوني، وأن كـل دعاياتهـا بخـصوص هـذا العـداء، لم تكـن إلا غطـاء لتوافقـات وتقـاطع مـصالح مـع هـؤلاء الغـزاة المـستعمرين، بـل جـددت إيـران تعاونـا وتحالفـا مـع روسـيا خـلال ممارسـة نزعتهـا الاسـتعمارية بـشراسة غير مسبوقة ضد شعوب ودول المنطقة.

وفي أفـضل الأحـوال كانـت علاقـة إيـران مـع المـستعمرين هـي علاقـة خـلاف علـى اقتـسام الغنـائم وضـغوط ومنـاورات ومناوشـات، هـدفها الوصـول إلى مـساومات تحقـق مـصالح أفـضل لإيـران علـى حـساب جيرانها الآخرين في المنطقة.

وظهــر لجمهــور المــسلمين في منطقتنــا والعــالم أن إيـــران لا تعمـــل إلا لأجـــل إنفـــاذ مـــشروعها المعـادي للمـسلمين، وهـو مـبني علـى أسـس اسـتعمارية اسـتيطانية، ولـذلك أقامـت العديـد مـن التحالفـات مـع القــوى والتيـــارات اليـــسارية والعلمانيـــة والقوميـــة في المنطقــة! كمــا أقامــت تحالفــات خارجيــة مــع القــوى اليـسارية والقوميـة في العـالم بحجـة مواجهـة الولايـات المتحدة والكيان الصهيوني.

انتهــى الأمــر فــى المنطقــة إلى الوضــوح والــيقين لــدى الجمهــور العــام مــن المسلمين والعــرب بكــذب إيــران، وقريبــاً ســيدرك العــالم أجمــع هــذه القناعــة وتـصل رسـالة الـوعي المكتـسبة بتجـارب الـدم والقتـل والتـشريد في المنطقـة إلى مختلـف منـاطق العـالم التـى لا تــزال في وضــعية الخديعــة الــتي عاشــها العــرب والمسلمون من قبل وتخلصوا من آثارها اليوم؟

ثلاث شعارات .. والهدف الخداعي واحد

توجــه الخمــيني بخطابــه لخــارج إيــران بثلاثــة شـعارات يمكـن القـول بأنهـا كانـت مكونـاً رئيـسياً في اسـتراتيجية وصـوله للحكـم، وأنهـا كانـت الـدافع الـرئيس للمـساندة الواسـعة الـتي حظـي بهـا الخمـيني بعد نجاح الثورة ووصوله للحكم.

الــشعار الأول: أنــه يريــد دولــة تنــصر وتــدعم الــشيعة، وعمــل ذلــك علــى تغــيير أفكــار شــيعة في العالم وربطهم بإيران واستراتيجياتها.

والــشعار الثــاني: أنــه يريــد دولــة تــدعم ثــورات الـشعوب وتقـف مـع المستـضعفين مـنهم، وتحـت هـذا الـشعار سـعت إيـران لتـشكيل جبهـات واسـعة تعـضد وتقوي الجماعات التابعة لها في داخل الدول الأخرى.

ولــذلك جــرى الترويــج الواســع لإيــران كنــصير للقــوى الــسياسية والفئــات الــسكانية المهمــشة في المجتمعــات الأخــرى عربيــاً وإســلامياً، كمــا قــدمت نفــسها محــورا للتحالفــات مــع القــوى الرافــضة لحكومـات دولهـا، ومـن ذلـك أبـرزت نفـسها كدولـة حليفة لقوى اليسار العالمي.

والــشعار الثالــث: أنــه يريــد دولــة معاديــة للغــرب وللكيـــان الـــصهيوني ولوضـــعية الاســـتعمار أينمـــا كانــت، وظهــرت بهــذا كمحــور للتحــالف مــع القــوى القوميــة والوطنيــة واليــسارية ومــع كــل مَــن كــان معادياً للولايات المتحدة والكيان الصهيوني.

كانـت تلـك هـي الـشعارات الرئيـسية التـى توجهـت بهـا إيـران في دعاياتهـا ونـشاطها العلـني الموجـه للخـارج عـبر أدوات الإعـلام والدبلوماسـية، وكـان الهـدف الاسـتراتيجي لتلـك الـشعارات هـدف واحـد هـو: خلخلـة الحكومـــات والمجتمعـــات في الـــدول المعاديـــة لهـــا، وتوسيع رقعة أنصارها من الدول والقوى الشعبية.

وبلغـة أخـرى لقـد صـممت تلـك الـشعارات لتتناسـب مــع طبيعــة القــوى الــسياسية داخــل الــدول الأخــرى ولتتناســب مــع وضــعية الــصراع الــدولي وأهــم ملامحــه الظاهرة الاستعمارية، من جهة أخرى.

غـير أن الأحـداث كـشفت مـدى الخـداع الإيرانـي، فقــد كــشفت تجــارب الــشعوب الثــائرة في العــراق وسـوريا والـيمن وغيرهـا، أن إيـران هـي مـن تقـف ضـد إرادة الــشعوب وضــد حراكهــا الــسلمي، وأنهــا في وضعية تحالف مع كل القوى الاستعمارية.

وانكـشفت الـدعايات الإيرانيـة حـول العـداء مـع الغــرب والــشيطان الأكــبر والكيــان الــصهيوني، وتطـور الأمـر إلى حـد الفـضائح الـسياسية، إذ باتـت إيـران عاريـة مـن غطائهـا الثـاني، بـل بـات مكـشوفاً أنها في تحـالف تـام وحقيقـي مـع الغـرب وأنهـا خَـدعت الـشعوب والقـوى الـسياسية والتيـارات الفكريـة حـين

ادعت عداءها للغرب، فيما كانت تلعب اللعبة الخفية.

باتت قطاعات واسعة من الجمهور العام في وضعية الفهم والإدراك بأن إيران الخميني لم تكن إلا بداية إطلاق مشروع تفكيك الدول الأخرى، واحتلالها واحدة تلو الأخرى، وسأل الكثيرون أنفسهم عن تلك الدولة التي تدعي العداء مع الغرب والدفاع عن استقلال الدول، فيما هي تمارس الاحتلال وتخوض ميلشياتها وقواتها غزوا واحتلالا للدول الأضعف تحت غطاء أسلحة الجو الأمريكية والروسية والأوروبية، ضمن عملية استراتيجية يجري خلالها التنسيق العسكري مع الكيان الصهيوني!

لقد اكتشف جمهور الناس لعبة إيران، لا على صعيد المقارنة وإدراك التناقض بين ما يجري الترويج له وما يجري على أرض الواقع، بل أيضا عبر إدراك أن إيران باتت المحور الذي تحتشد حوله وحول دوره وقواته وميلشياته القوى الاستعمارية، لتنفذ هي أخطر الجوانب الاستراتيجية في المشروعين الغربي والصهيوني: تفكيك واحتلال الدول الأخرى.

لكن بقيت التيارات العلمانية والقومية واليسارية الفكرية والسياسية منها في العالم العربي والإسلامي على وضعية التحالف مع إيران وميلشياتها في حروبها الطائفية ووحشيتها البشعة، بل أصبح دورها الدفاع والتبرير لهذه الطائفية والجرائم!!

لقد نجحت إيران في عقد تحالفات وثيقة مع قوى يسارية وقومية وليبرالية برغم العمائم التي على رأسها وبرغم تشددها الشمولي ودعمها سيطرة الجماعات الميلشياوية على الحكم بقوة السلاح، وبرغم أنها لا تؤمن بالدولة المدنية، بل وبرغم أنها قضت على الحزب الشيوعي الإيراني (حزب توده) الذي نافس الملالي على السلطة، وبرغم أنها هي من شن حرباً على القومية العربية وعلى الدول التي رفعت شعارات قومية، مما يكشف عن انتهازية هذه القوى العلمانية واليسارية والقومية ومدى كرهها لدين الأمة وتاريخها.

وأيضاً بقيت حكومات بعض دول أمريكا اللاتينية على تحالفاتها مع إيران، حيث نجحت إيران في نسج تحالفات مع الحكومات اليسارية في أمريكا اللاتينية عبر تقديم نفسها كدولة معادية للولايات المتحدة الضاغطة بالعداء والمؤامرات على تلك الدول.

ويبقى التساؤل: هل يمكن لرسالة الوعي بالكذب والخداع الإيراني أن توقظ هذه التيارات العلمانية واليسارية والقومية في عالمنا العربي والإسلامي أو لدى حكومات اليسار اللاتينية؟ أم أن التحالف بينهم استراتيجي لا تؤثر فيه هذه القضايا بل هي تؤمن بها وتدعمها؟

التشيع والعلمانية: تجربة العراق

تبدو تجربة العراق كاشفة لكذب وخداع إيران والشيعة في مختلف المجالات، فالعامل الأول والأشد بروزا في تجربة التحالفات كان تحالف إيران «الشيعية» (= المذهبية أو الطائفية أو الفارسية أو الصفوية) مع الولايات المتحدة «الديموقراطية» و«العلمانية» في غزو واحتلال العراق، وكيف تعايش نمطان من أنماط الاحتلال بين دولتين إحداهما «دينية شيعية» وبالتالي لا تطرح مشروعا علمانياً أو ديموقراطياً للعراق، مع دولة ادعت أنها قدمت لتعميم الديموقراطية ووعدت بأن تطبق تجربة كوريا واليابان في العراق!

وإذ صار مفهوما ومعلوماً للجميع أن الولايات المتحدة ببراجماتيتها وخططها الاستعمارية قد وظفت إيران لتحطيم وتخريب العراق ولدعم عوامل التفكيك والتقسيم والحرب الأهلية فيه، فقد صار مفهوما أيضاً أن إيران زيفت الشعارات حول مظلومية شيعة العراق لتحقق مصالحها الاستعمارية فيه، إذ جرى الحديث من بعد حول العراق – بغداد- كتابعة للإمبراطورية الإيرانية الشيعية.

وهنا يبقى السؤال الصامد: كيف جرى تكييف المواقف الإيرانية ليحدث هذا الجمع بين

شعارات العداء وهتافات الموت لأمريكا الشيطان الأكبر، وذاك التعاون السياسي والعسكري والاستخباري والشامل معها على أرض العراق وفق صيغة الاحتلال المشترك؟

هنا يمكن القول بأن براجماتية الولايات المتحدة التقت مع التقية الإيرانية، والتي تسمح لها بالتحالف مع الشيطان لتحقيق مصالحها الشيعية العليا بتمكين حكم الولي الفقيه في مقدمة لظهور المهدي الغائب!

وأن إيران كدولة استعمارية «من الحجم المتوسط» أدركت أنها لا تستطيع وحدها القيام باحتلال والسيطرة على بلد أهله ذوو بأس مثل العراق، فرأت في التدخل الأمريكي العسكري سبيلا لتحقق غايتها التي عجزت عن تحقيقها عبر حرب الثماني سنوات.

لقد كانت انتهازية ملالي إيران في التحالف مع الشيطان الأكبر علناً حدثاً ضخماً عبّر عنه الكاتب الأمريكي الشهير توماس فريدمان بقوله: «هذا التحالف هو أهم ما جرى في القرن الواحد والعشرين».

لبنان: التحالف مع الأقليات ضد المسلمين

جرت تجربة ميلشيا نصر الله في لبنان وفق أعقد الاستراتيجيات الخداعية، إذ انتهت قصة الممانعة والمقاومة وبات الفعل والموقف والرؤية الطائفية والعمالة لإيران تحت أقدام ثوار سوريا، الذين كان لهم الفضل فى كشف وإنهاء كل ألاعيب تلك الميلشيا، فقد ظل السؤال الحائر هو: كيف بنت شبكة التحالفات التي نسجتها تلك الميلشيا في لبنان وشكلت لها سياجاً واقياً من الانكشاف، كما شكلت لها إطار حماية عبر جذب الرأي العام؟

وواقع الحال أن الأمور كان فيها جوانب واضحة منذ البداية لمن كان يقيّم هذه المليشيا بعقيدتها وأفكارها وتبعيتها للولي الفقيه الإيراني.

إلا أن الدعاية المكثفة التي كانت تردد أكاذيب المقاومة والممانعة كان لها دور كبير في التغطية على أهداف وجوهر مشروع الحزب، كما يمكن القول بأن الموقف من الوجود الفلسطيني المسلح واللاجئين كان مؤشرا آخر كاشفا على عمق الفكر والمشروع الطائفي لتلك الميلشيا، إذ جاء ميلاد تلك الميلشيا في أواخر الحرب الأهلية اللبنانية على أساس العداء والقتال للوجود المسلح وعلى أساس فكرة العداء للوجود الفلسطيني اللاجىء تحت عنوان عدم السماح بانقلاب ديموغرافي لمصلحة السنة –وهو ما ظهر طوال الوقت وكان آخرها حشد كل القوى الطائفية خلال تدمير مخيم نهر البارد للاجئين الفلسطينيين- غير أن ديماجوجية الحديث عن المقاومة وعن التعاون مع بعض حركات المقاومة الفلسطينية هو ما تغطى به الحزب لإخفاء جرائمه الطائفية التي خدعت السذج والأغبياء.

وقد اعتمدت ميلشيا نصر الله فى استراتيجيتها في لبنان على فكرة حشد وتعبئة كل القوى الاجتماعية اللبنانية وكل القوى السياسية لمواجهة السنة، وساعد الحزب على ذلك أن الحركة الأكبر سيطرة في تمثيل السنة لم تكن سوى حركة علمانية ولم تمتلك استراتيجية لحشد القوى الأخرى، ولم تمتلك مشروعا سياسيا واضحا ولم يكن لها استراتيجية محددة.

١- التحالف مع القوميين والناصريين:

لقد كان لشعارات العداء للكيان الصهيوني ولطرح دعاية المقاومة دورها في تشكيل جسر للحزب والتحالف مع القوميين والناصريين، ويمكن القول بأن الارتباط بالنظام السوري الذى طرح شعارات بعثيه وقومية كان له دوره في ترتيب تلك التحالفات –حليف حليفي حليفي- وفي الحفاظ عليها لفترة طويلة.

وتبدو أهمية هذا التحالف باعتباره تحالفا عابرا للبنان، إذ كان للتحالف الذي أقامته تلك الميلشيا في داخل لبنان دوره في عبور تلك المليشيا إلى بقية أنحاء العالم العربي، وقد استثمرت إيران ونصر الله حالة انحسار قوة وجماهيرية الحركات القومية

أفضل استثمار.

ويمكن القول بأن امتلاك نصر الله أدوات ومفاتيح الدعم المالي الإيراني كان له دوره الفعال، إذ أولت إيران أهمية كبرى لمثل تلك التحالفات إلى درجة تأسيس قناة الميادين الفضائية بإمكانيات هائلة للعمل على رفع هذا التيار ولدعم جماهيريته المهورة بتوقيع إيران ونصر الله.

٢- التحالف مع الشيوعيين:

وقد تحالفت ميلشيا نصر الله مع قطاع كبير من الشيوعيين في لبنان، ومن رفض أو تحرك ضد تلك الميلشيا أو خارج سياقات النشاط والوجود السوري جرى قتله –كما هو حال جورج حاوي رئيس الحزب الشيوعي اللبناني المغدور بعد تحركه رفضا للوجود السوري في لبنان- ولم يخرج هذا التحالف عن فكرة حشد القوى والتغطي بها لإخفاء المشروع الطائفي الاستعماري لإيران، ويمكن القول بأن تأثير التجربة السورية وخبراتها كان واضحاً في هذا التوجه، في تكرار ما قام به حافظ الاسد من تدجين الشيوعيين والقوميين وإدخالهم حظيرة الحكم عبر ما سمي بالجبهة الوطنية التي شكلت غطاء للبعث الذي كان بدوره غطاء للحكم الطائفي العلوي.

ويمكن القول بأن التحالف الروسي الإيراني انعكس بدوره على حالة من ظل على ارتباطه بموسكو بعد انهيار تجربتها السوفيتية، وذلك أمر شائع في تلك الأوساط، التي حافظت على علاقتها بالحزب الشيوعي السوفيتي القائم حاليا.

٣- التحالف مع الليبراليين:

غير أن ما كان لافتا أكثر هو تمكن ميلشيا نصر الله من حشد جانب من الليبراليين في لبنان إلى صف مواقفها، وإذا كان حل اللغز يتعلق بفكرة التحالف مع الأقليات - أو حلف الأقليات في المنطقة لمواجهة السنة الذي هو جوهر المشروعين الأمريكي والإيراني ومن قبلهما روسيا– فقد انكشفت اللعبة حين انقسم المسيحيون اللبنانيون حول قيام مثل هذا التحالف، وحين ظهرت الخلفيات الحقيقية لعقد مثل تلك التحالفات.

٤- التحالف- الاختراق للمسلمين (السنة):

مارس نصر الله لعبة اختراق السنة بأدوات وآليات ماهرة، وكان لغياب المشروع السني دور هام في عدم تشكل حالة مواجهة متكافئة، فقد لاحظ المتابعون أن ميلشيا نصر الله قد عملت بجدية بالغة ونجحت فى اجتذاب عناصر سنية إلى صف مواقفها، بل سعت لتشكيل تيارات ومجموعات في داخل السنة، وهو ما لم يقتصر على بعض الدعاة والعلماء أو الساسة، بل تمدد بدوره عبر تشكيل ما سمى بسرايا المقاومة التي سعى من خلالها «حزب الله» لتوسيع نفوذه العسكري ليصبح متمددا في داخل الطوائف الأخرى، ليضمن استمرار سيطرته العسكرية بعد انسحاب الجيش السوري من لبنان.

لقد بدأ الحزب تلك التجربة بهدف شكلي في البداية إذ أراد إظهار أنه ليس وحده من يقاوم في جنوب لبنان، لكن الأمر تطور مع كشف الوجه الحقيقي للحزب وتحوله للوجه الطائفي السافر، حيث صارت سرايا المقاومة حالة ميلشياوية اختراقيه للطائفة السنية بشكل خاص.

التحالف مع حكومات أمريكا الجنوبية

رفعت إيران شعارات الاستقلال والوقوف في صف المستضعفين والعداء مع الولايات المتحدة وعلى خلفية هذا الشعار قدمت نفسها كحليف للقوى التي تعيش تحت وطأة الضغط الاستعماري الأمريكي في أمريكا اللاتينية بعد وصول اليسار للسلطة في كثير من بلدانها.

وقد حمل التحالف مع حكومات اليسار في أمريكا اللاتينية أبعادا تتعلق بالتنسيق في مجالات إنتاج النفط، وللاستفادة من تلك العلاقات لفك عزلة إيران في إقليمها، غير أن جانباً مهماً من هذا التحالف قد جرى تحت بند السعي الإيراني لبناء امبراطورية ممتدة.

وإذ يتصور البعض أن جوهر فكرة الامبراطورية الإيرانية الشيعية يتعلق بالإقليم العربي، فالعكس هو الصحيح، إذ الرؤية الإيرانية لمشروعها هي رؤية عالمية، تسير بنشاط نحو تشييع كل مسلم في كل مكان، وهي ترمى «لوراثة» كل ما أنجزه الإسلام، ومن هنا تأتي أهمية الخطط الساعية لتوسيع العلاقات مع كل القوى الدولية وإيجاد مساحة واسعة لها في العلاقات الدولية.

وقد استثمرت إيران بقوة غياب الدول السنية عن هذه المناطق من العالم من جهة، كما واصلت استثمار دعم القضية الفلسطينية على الصعيد العالمي –تعد دول أمريكا اللاتينية داعمة للقضية الفلسطينية- بنفس الطريقة التي استثمرت فيها القضية الفلسطينية في العالم الإسلامي، وبذلك ترسخ نفوذ إيران فيها.

أوان نهاية تلك التحالفات:

مطلوب اليوم أن تَبذل الدول والحركات والشعوب العربية جهودا ضخمة لتبعث برسالة إلى مختلف مناطق العالم تكشف فيها حقيقة الكذب والخداع الإيراني بنصرة المستضعفين ودعم قضية فلسطين، وهي الشعارات التي دغدغت بها عواطف الملايين من الناس.

حيث استغلت إيران الغفلة التي كانت وافرة في منطقتنا والعجز عن إدراك مراميها وأهدافها وكان ذلك هو العامل الأساس في تطور المشروع الإيراني في منطقتنا، فقد كانت تلك الغفلة في منطقتنا ذاتها هي ما وفرت لإيران فرص خداع الآخرين في مناطق العالم المختلفة.

وإذ جرت إفاقة في منطقتنا فقد صار مطلوبا أن يجري التحرك لإيضاح الصورة الحقيقية لإيران لدى الآخرين في المنطقة وفي المناطق الأخرى التي وصل إليها النشاط الإيراني.

وواقع الحال أن مقاومة إيران ما تزال منصبة على الإسلاميين والمسلمين، وهو وإن كان أمرا ضرورياً وأساسياً –لا شك في ذلك – إلا أنه بات واجباً أن يتحول ليصبح خططا واعية وذكية تصل إلى الآخرين الذين ما زالوا يعيشون تحت وطأة الخداع، سواء من القوميين أو الناصريين أو العلمانيين في المنطقة العربية أو هناك في الدول الخارجية التي وقعت تحت تأثير الشعارات الإيرانية، خاصة شعارات المقاومة والممانعة أو دعم القضية الفلسطينية.

وفي ذلك ينبغي عدم الاكتفاء بالإعلام، وأن يجري البحث عن وسائل تواصل، ومن أهمها مواجهة سيطرة نصر الله وإيران على المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي الإسلامي الذى يضم نخبا لا شك أن لها تأثيرا في هذا المجال.

صار مطلوباً أن تفتح الأبواب المغلقة أمام مثل تلك المؤتمرات ليجري عزل النفوذ والدور الإيراني المستند إلى عدم وجود تواصل بين تلك النخب والدول العربية المعادية لإيران، وكذلك أن تجري أعمال تواصل مباشرة مع مختلف التيارات التي ما تزال على وضعية الارتباط بإيران وميليشياتها، وممارسة الضغوط الإعلامية والجماهيرية عليها.

لقد صار مطلوباً التحرك باتجاه مجتمعات الدول الإسلامية في أفريقيا وآسيا لكشف زيف الشعارات الإيرانية خاصة شعارات الثورة ودعم المستضعفين.

وصار مطلوبا التحرك نحو دول أمريكا اللاتينية لإيضاح خداعية شعارات إيران حول المقاومة الفلسطينية وحول الصراع مع أمريكا.

صحيح أن الدول لا تتحرك إلا وفق مصالحها، غير أن التعامل يجب أن يجري مع الحركات الفكرية والتنظيمات السياسية –لا الحكومات- لكشف أبعاد ما قامت به إيران ضد كل القوى اليسارية بما ذلك تلك الموجوده في إيران، من قتل وسجن وتشريد وتعذيب.

العراق في دائرة التشيُّع

وسام الكبيسي(*)– خاص بالراصد

كـان العـراق طـوال تاريخـه الممتـد لقـرون طويلـة ينتمـي لعمـق اسـتراتيجي عربـي في قوميتـه، وسـني في معتقـده، وكانـت حواضـره في البـصرة والكوفـة وبغـداد مراكـز الإشـعاع العلمـي والفكـري والفقهـي للأمـة، وكـان روضـا للـشعر والأدب والبلاغـة والنحـو كمـا كـان مركـزا لـشتى الفنـون ومنطلقـا لأغلـب العلـوم والاكتـشافات، بـرغم الأطمـاع الـتي كانـت تحـيط بـه، والمخـاطر الـتي واجهتـه، وعمليـات الـسطو الـتي طالتـه علـى امتـداد محطـات تاريخـه، حيـث واجـه محـاولات عديـدة لـسلخه، ولكنـه سـرعان مـا كـان يعود إلى حضن عمقه الاستراتيجي.

لقـد أنهكـت الحـرب بـين العـراق وإيـران (١٩٨٠ – ١٩٨٨م) الطـرفين، وخرجـا منهـا بأسـوأ وضـع، وتجـرع الخمـيني (كـأس السم) الـذي ابتلـع معـه أحلامـه التوسـعية وفكـرة تـصدير الثـورة، وكـان يظـن أن هـذه الأحـلام قـد تبخـرت وإلى الأبـد، حتـى أنـه مـات بعـد فـترة قـصيرة مـن إعـلان وقـف الحـرب، كمـداً وحزنـا علـى أحـلام كـان يظنهـا طـوع بنانـه، وتحـت سـطوة سلطانه.

ولكـن الخطـوة والخطيئـة الـتي وقـع / أو أُوقِـعَ فيهـا نظـام الـرئيس العراقـي الراحـل صـدام حـسين، والـتي تمثلـت بغـزو الكويـت أحيـت الأمـل لـدى خـامنئي، خليفـة الخمـيني علـى كرسـي ولايـة الفقيـه، لإعـادة رسـم خارطـة الـصراع ولكـن بـصورة مختلفـة هـذه المرة تعتمـد علـى الاسـتفادة مـن المـشاريع الدوليـة والتخـادم الاسـتراتيجي معهـا لتحقيـق الأحـلام الـتي لم يمكـن تحقيقهـا ممكنـا بالطـائرات والـدبابات والمـدافع، وتحـرك مـشروع ولايـة الفقيـه لتكـوين مفـاتيح (لوبيـات) ضـغط في الـدول ذات الثقـل في القـرارات ورسـم السياسات وتنفيذ الأجندات الدولية.

وقـد جنـدت في سـبيل ذلـك كـل التوجهـات والفعاليـات الممكنـة داخـل الطائفـة الـشيعية، حتـى وإن بـدا لوهلـة مـن الـزمن أنهـا متناقـضة أحيانـا، وكـان اللـوبي الـذي يرسـم توجهاتهـا في واشـنطن، علمـاني النزعـة تغـريبي الـنهج - في الغالـب - ، وقـد تكفـل هـذا الفريـق باسـتغلال خطـأ القيـادة العراقيـة لإزاحـة الـصخرة العراقيـة مـن وجـه مـشروع ولايـة الفقيـه وأحلامـه التوسـعية، فاسـتغل المعمـاري العلمـاني المقـيم في الغـرب (كنعـان مكيـة) هـذا الخطـأ، وضـعف العـراق وجيشه بعـد معركـة الخلـيج الثانيـة عـام ١٩٩١، وبـات يكتـب مقـالات تغـازل اللـوبي اليهـودي الأمريكـي، وتـدعو للتحـذير مـن النظـام الحـاكم في العـراق ظـاهراً، ولتغـيير المعادلـة التاريخيـة العراقيـة عـبر إبعاده عن عمقه الاستراتيجي باطنا.

خـرج العـالم يتحـدث بعـد حـرب الخلـيج الثانيـة، وسـقوط الاتحـاد الـسوفييتي، عـن ضـرورة البـدء بمحادثـات الـسلام بـين الفلـسطينيين وقـوات الاحـتلال في تـل أبيـب، وقـد اسـتغل كنعـان مكيـة، وبقيـة فريـق لـوبي ولايـة الفقيـه أمثـال أحمـد الجلـبي وعـدنان إحسان الحيـدري ونـبراس الكـاظمي ورنـدة فرانكلـي وغيرهـم هـذا الحـدث لإقنـاع أمريكـا والغـرب عـبر التمـاهي مـع اللـوبي اليهـودي، واسـتغلالا لظـروف بـدء المحادثـات، ومـن خـلال سلـسلة مقـالات - منهـا مقـال جمهوريـة الخـوف - تميـزت بالخبـث الـذكي، حيـث طـرح مكيـة أفكـاراً ادّعـت أن الـسلام لـن يتحقـق في الـشرق الأوسـط، إلا إذا أخرجنـا العـراق مـن دائـرة عروبيتـه، وأن العروبـة في العـراق شـأن سـني إلى حـد كـبير!!، وهـو بـذلك مهَّـد لفكـرة سـحب العـراق مـن عمقـه الاسـتراتيجي العربـي - الإسـلامي، ومـن الطبيعـي وفقـا لخطـة مكيـة ومـن يقـف معـه أو وراءه، أن يـسقط العـراق في عمـق اسـتراتيجي منـافس، فكـان عمقـا فارسـيا في القوميـة، وشـيعيا في المـنهج، حيـث لا يمكـن

(*) كاتب عراقي.

أن نتخيل دولة بلا عمق استراتيجي تكتسب معه ومنه القوة والمرونة في مواجهة مشاريع الآخرين.

نعم وُجد التشيع في العراق، نشأة وتطوراً، حتى أصبح منهجا عقديا وفكريا سياسيا ذا صبغة خاصة، وتسمية محددة (الشيعة الاثنا عشرية، أو الإمامية، أو الجعفرية، نسبة إلى جعفر الصادق الإمام السادس وفقا للمفهوم الإمامي)، ولكنه بقي وجودا محدودا.

وللحقيقة فإن المؤرخين يؤكدون أن التشيع بدأ ينشط ويتوسع بدءا من النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بفعل عدة عوامل منها الجهل والبداوة التي ميزت الكثير من جوانب الحياة في جنوب العراق والخليج والجزيرة، خلال هذه الفترة من الحكم العثماني الذي أهمل هذه المناطق، بما في ذلك التعليم الديني والدعوة لمنهج أهل السنة، حيث شهدت تلك الأعوام كثافة في نشر التشيع في جنوب العراق فتشيعت عشائر مثل، بني حچيم من الزبيد، والشبل من الخزاعل وآل فتلة وفرعهم من الدغارة وبني حسن من بني مالك، والعفك. بينما تشيع بعض قبيلة العُبيد وشمر والظفير وبني تميم قبيل القرن التاسع عشر أو خلاله، كما تشيعت عشائر أخرى قبل ذلك بقليل، ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر الميلادي مثل، البو محمد وخزعل وبني لام وربيعة وكعب، وبعض أتباع قبائل المنتفق والزبيد والدليم بصفة أفراد أو أفخاذ صغيرة.

ولكن بقي التشيع رقماً صغيراً، في مقابل الديموغرافيا والجغرافيا والتاريخ السني في العراق، وربما نشاهد اليوم متغيرات حقيقية ومؤلمة على أرض الواقع في العراق تقتضيها مصالح وضرورات دولية، أرادت صناعة الضد النوعي عبر تقوية القلة من (الطائفة) لتوازن وتوازي الكثرة من (الأمة)، وحصل ذلك للأسف في ظل ضعف وانقسام وتشرذم سني داخلي، وتجاهل سني إقليمي سلم هذه المناطق لمطرقة ميليشيات سليماني وسندان الغلاة في تنظيم الدولة، وهو ما قد يجعل الجميع يدفع ثمنه، إذا ما انهار السد المتمثل اليوم بالمناطق السنية في العراق - والشام لاحقا - وهيمن مشروع ولاية الفقيه على خط الهلال الشيعي (لا سمح الله)، وصارت بغداد عاصمة انطلاق يتمدد منها هذا المشروع في كل الاتجاهات، حيث تتحقق نبوءة الشاعر حين قالها محذرا:

إذا ضاع منا شامها وعراقها

فتلك من البيت العتيق مداخلُه

يندفع مشروع ولاية الفقيه مسابقا نفسه والزمن، لاستغلال الفرصة الدولية التاريخية السانحة، وهو يحاول أن يفرض بالقوة والترهيب ما لم يتمكن من فرضه بالترغيب، وكما يقول المثل أن كثرة الضرب يفلُّ الحديد، فإن بعض أهل السنة والجماعة في العراق بدأوا بالدخول في التشيع، بعضهم بدافع الطمع والمتع الزائلة التي يحسن أتباع ولاية الفقيه توظيفها، وبعضهم بدافع اليأس من تغيير الواقع السني والتنازع الداخلي، والإحباط من الدور الإقليمي السلبي الذي بقي متفرجا بينما تغتصب كتائب ولاية الفقيه الأرض والعرض وتنتهك التاريخ والجغرافيا وأبسط حقوق الإنسان.

أحد أبناء العرب السنة من منطقة الضلوعية يتحدث ومعه صور للأطفال، وقد عُصبت رؤوسهم بخرق خضراء مكتوب عليها (أدرِكنا يا صاحب الزمان) وهم من عشيرة الجبور، وتأتي أخبار مزعجة من مناطق في محافظة الأنبار قد تكون مراكز لنشر التشيع، مثل مزار الشيخ حديد في مدينة حديثة، حيث يُزعم أن نسبه يرجع إلى موسى الكاظم عليه رحمة الله، ومزار الشيخ مسعود في المضيق قرب الرمادي وهو الآخر محط نظر، حيث حاول الشيعة جعله مزارا شيعيا منذ نهاية السبعينيات لكن تصدى لهم العلماء وتم طردهم وقتها.

هنـاك مـزارات في منطقـة آلـوس يُنـسب بعـضها إلى أولاد الـشيخ عبـد القـادر الكيلانـي رحمـه الله، كمـا أن هنـاك مقامـا للإمـام علـي رضـي الله عنـه في تلـة آلـوس، كـان كنيـسة مـن زمـن الرومـان قبـل الإسـلام إلى أن أصـبح موقعـا عـسكريا عثمانيـا عثـر المنقبـون فيه قبل الاحتلال على قبر كان يفوح مسكا.

ولـدعاة مـا يـسمى (الـدين المحمـدي) برئاسـة عبـد القـادر بهجـت الألوسـي في الفلوجـة وحديثـة صـلات قويـة بـالحوزة في النجـف وبـاتوا مـدعومين مـن الحكومـة كمراكـز انطـلاق في الأنبـار، حتـى إن عبـد القـادر يتحـرك بـصحبة رتـل مـن الـسيارات المدرعـة الـتي أهـديت لـه، وينتقـل إلى بغـداد بالطـائرات الحكوميـة، ومـن حقنـا أن نرتـاب مـن حركتـه وصِـلاته تلـك، كمـا مـن حقنـا أن نعتـب علـى بنـي ديننـا وجلـدتنا الـذين جعلـوا بعـض المحاصـرين ينجـرون بعـواطفهم صـوب المرجعيـة في مقابـل علبـة حليـب وكيلـو مـن الدقيق يسكتون بها جوع صغارهم.

وهنـاك شـيوخ عـشائر تـربطهم روابـط وصـلات قويـة بقـادة الأحـزاب الـشيعية وبعمـار الحكـيم خـصوصا، وغالـب هـؤلاء تحـركهم الأطمـاع والـسعي وراء العقود والامتيازات.

الـسياسيون المنتفعـون - وهـي الـسمة الغالبـة علـى ممثلـي العـرب الـسنة - لا أظـن أن الكـثيرين مـنهم سـيكلف نفـسه التـصدي إلا بتـصريحات خجولـة علـى أفـضل الاحتمـالات، أمـا الـذي سـيعترض مـن العلمـاء وبقيـة أهـل الـسنة، فـإن تهمـة الطائفيـة والوهابيـة والداعـشية سـتكون جـاهزة بـل إن تـصفيتهم سـتكون مـن أولويـات الميليـشيات المدعومـة مـن قبـل الحكومـة وأجهزتهـا الـسرية الإجراميـة ثـم تلـصق التهمـة بـداعش كالعادة.

حـدثني أحـد أصـدقائي ممـن خرجـوا قبـل فـترة مـن المنطقـة، فقـال لـي: «التقيـت في آلـوس (الـتي ينتسب لهـا عـدد مـن العلمـاء بيـنهم الآلوسـي المفـسر)، بقريـب لـي يـدير مـسجدا تم اسـتدعاؤه إلى مدينـة حديثـه عنـد أحـد المتنفـذين مـن الجغايفـه بنـاء علـى تقـارير لأحـد عيـونهم، قـال قـريبي: عنـد دخـولي مكتـب هـذا الـشخص رأيـت صـورة كـبيرة لمحمـد بـاقر الـصدر وراياتهم ممـا يعـني أنـني دخلـت مكتبـا لحـزب الـدعوة»، ويـضيف الـشيخ لـصديقي فيقـول، «لقـد تمـت مفـاتحتي للانتمـاء لحـزب الـدعوة فاعتـذرت»، وسـرد تفاصـيل كـثيرة عمـن تم تجنيدهم في تلك الفترة.

في مـسجد خديجـة الكـبرى، وهـو مـسجد مركـزي يقـع قـرب مديريـة ناحيـة العلـم، معقـل إحـدى الـدعوات الـسلفية المسالمة للسلطات، يـذكر لـي صـديق مـن المنطقـة فيقـول: «قـام أحـد معممـي الـشيعة بإلقـاء محاضـرة في المـسجد بمناسـبة عاشـوراء، مـن قبـل مـا يـسمى بالتوجيـه العقائـدي للحـشد، ووضـعوا لافتـات عنـد بوابـة المـسجد مـن قبـل جماعـة الحـشد وهـم مسلحون طبعـا، ولكـن هـذا المصدر نفـى الأخبـار الـتي ذكرتهـا بعـض القنـوات والمواقـع الإعلاميـة مـن تحويـل هـذا المـسجد لحـسينية، حيـث قـام المـصلون برفـع اللافتـات والـشعارات الطائفيـة، وهـو مـا جوبـه بامتعـاض شـديد مـن قبـل قـوات (الحـشد الـشعبي)، ويـضيف المـصدر قولـه لـي: «في منطقـة المزرعـة في بيجـي سمعـت أنهـم فرضـوا أن يكـون الأذان حـسب الـصيغة الـشيعية، يعـني إضـافة (علـى ولـي الله، وحـي علـى خـير العمـل)، وبعكـسه يغلـق المسجد!! هـذا حـصل - وفقـا للمـصدر - في المـساجد القليلـة الـتي لم تهـدم في المدينـة بعـد دخولهـا مـن قبـل الجـيش والميليـشيات المرافقة».

بعـض الشخـصيات الـسياسية في محافظـة صـلاح الـدين كانـت قـد ذكـرت أن فـصائل الحـشد الـشعبي أقـدمت علـى افتتـاح مكاتـب خاصـة لـ «اسـتقبال المتـشيعين الجـدد»، وتـضم صـلاح الـدين بعـض أهـم المراقـد الـشيعية في العـراق الـتي يؤمهـا الآلاف مـن الـزوار سـنويا، وشـهدت الأشـهر الماضـية زيـارة نحـو ١٥٠ مـن أبنـاء صـلاح الـدين «المتـشيعين» إلى المنـاطق المقدسـة

لدى الشيعة، في كربلاء والنجف، وقد توشحت ملوية سامراء منذ مدة بالشعارات الدينية الشيعية واللون الأسود، وارتفعت الرايات الشيعية فيها، فيما يتدفق على سامراء المئات من الزوار بشكل يومي منتظم لزيارة مرقد الإمامين العسكريين، وفقا لمصادر مؤكدة.

ويرى الكثير من المراقبين سعيا حميما لتكرار ما قام به الصفويون قبل قرون من سعي لجعل العراق شيعيا خالصا، ومن الوسائل التي يعتمدها مشروع ولاية الفقيه كذلك، العمل على تغيير المناهج الدراسية والضغط على الطلبة والمدرسين والموظفين لحضور المناسبات والزيارات الشيعية والمشاركة فيها، واعتبار من لا يحضرها داعشيا إرهابيا.

ويعمد مشروع ولاية الفقيه وأذرعه في العراق إلى طمس الهوية السنية منه بالتدريج، وما الأحداث التي جرت في قضاء المقدادية من محافظة ديالى التي تفصل بين بغداد والحدود الإيرانية مباشرة إلا وجها من وجوه هذا السلوك المنظم، وبالإضافة لذلك يعمل المشروع على تهجير سكان المناطق السنية بدعاوى باطلة، ثم يقوم بتجريف بساتينهم وسرقة ممتلكاتهم وحرق دورهم ومحلاتهم وتفجير مساجدهم، وقتل أئمتها ودعاتها وروادها، لبث الرعب في قلوب البسطاء، وإفراغ الساحة من العلماء والدعاة والكفاءات والمثقفين، تمهيدا لتشييع المناطق بأهلها أو بدونهم عبر قتلهم وتهجيرهم بالإكراه، ويكفي أن نتذكر بأن أكثر من مائة من القرى والنواحي ذات الأغلبية العربية السنية في محافظة ديالى قد تم تدميرها بالكامل.

وللتدليل على خطورة الأمر في محافظة ديالى مثالاً، فإن علينا أن نلاحظ النسب التي حصلت عليها الكتل الانتخابية خلال عدة دورات كي نرى التغير الكبير بين ما حصل عليه العرب السنة مقارنة بالشيعة حيث تظهر انخفاضا واضحا بين عامي ٢٠٠٩ و٢٠١٤، كما جاء في تقرير لقناة الجزيرة وتحدثت عن ذلك منظمات معنية محلية وإقليمية ودولية، كما أبدت هذه المنظمات قلقها من ظاهرة الإعلانات في الصحف لدعاوى تغيير الأسماء التي تحمل إيحاءات سنية (اسم عمر وعائشة مثلا)، وهو ما يؤشر إلى حجم الضغوط والإكراه والتمييز التي تواجه الشباب السني، مما يؤكد على حقيقة أن مشروع ولاية الفقيه ماض بالعمل على تشييع العراق طوعا أو كرها.

رغم ذلك نقول، إن العراق جرب مثل هذه الظروف والمواقف، ومرت عليه مثل هذه الصعاب والمصائب، ولكنه سرعان ما خرج من تحت الرماد كعنقاء الأساطير، وعاد ليمارس دوره في العربات الأولى من قاطرة حركة الأمة في مسارها ومسيرتها، خصوصا أن ما يجري على أرض العراق هو استثناء خارج سياق التاريخ والجغرافيا، أملته ظروف دولية معينة، وحالة من الضعف والتخبط المحلي والإقليمي السني، وهي مرحلة ستنتهي في يوم لا يبعد عنا كثيرا، بمصالحة بين التاريخ والجغرافيا، لأن بغداد مهرة حرة لا يستقر على ظهرها إلا فوارسها الذين تعرفهم وتألفهم.





المخاطر العقدية في قنوات الأطفال العربية

دراسة تحليلية للمخاطر الوثنية والتنصيرية والشيعية

عرض أسامة شحادة(*) – خاص بالراصد

أصبح التلفزيون اليوم موجّه الجيل وقدوة المجتمع، وأصبح من الشائع الاحتجاج بالتلفزيون على صدق معلومة أو صحة سلوك!

ولأن الأطفال هم أكثر الشرائح تعلقا بالتلفزيون وتأثراً بما يعرض من خلاله، قام الأستاذ الهيثم زعفان بهذه الدراسة لفحص وتحليل مضمون أشهر وأهم القنوات العربية المخصصة للأطفال مثل: إم بي سي ٣، سي إن كرتون، سبيس تون، طه، وبعض برامج الأطفال الرائجة مثل (عالم سمسم).

جاءت الدراسة في ١٢٠ صفحة من القطع المتوسط وصدرت عن مركز البيان للبحوث والدراسات عام ١٤٣٦هـ.

مهّد الزعفان للدراسة بالتحذير من خطر برامج التلفزيون بعامة على الأطفال بحسب توصيات الخبراء الذين كشفوا أن الطفل في عمر ١١ سنة يكون قد شاهد نحو ٢٠ ألف حالة قتل أو موت، وأكثر من ٨٠ ألف حالة اعتداء، وأنه حتى مرحلة الثانوية العامة يكون قد قضى ١٤ ألف ساعة في المدرسة لكنه بالمقابل يكون قد قضى ٢٢ ألف ساعة أمام التلفزيون!

وهذا يكشف لنا عن الموجّه الحقيقي لأبنائنا وعن الجريمة التي نرتكبها بإهمال

(*) كاتب أردني.

متابعة نوعية ما يشاهدونه وكميته.

وقد أثرت هذه الصلة بالتلفزيون على الأطفال بتفضيل العزلة والانطواء، والميل للعدوانية، والزهد في القراءة والمطالعة، والولع بالاستهلاك ومتابعة الموضات مما يفقر الأسر ويفككها، وخلخلة اللغة العربية في تكوين الأطفال، ودخول عالم الجنس مبكرا ومن الباب الخطأ، وتعود الإباحية والانحلال!

في الفصل الأول عالج الباحث المخاطر الوثنية والتنصيرية على أطفال المسلمين من خلال فحص محتويات برامج الأطفال، فبرغم أن هذه القنوات في غالبها ذات صبغة علمانية وليبرالية والقليل منها تنصيري تبشيري، إلا أنها تنشر بين الأطفال أفكارا وعقائد تتناقض مع العلمنة والليبرالية، فهي تنشر العديد من الخرافات والجهالات من خلال تقديم مفاهيم وثنية للأطفال من تعدد الآلهة، وامتلاك الجمادات والأشجار لقوى خارقة، وهذا مناف للواقع والعلم والإسلام!

كما أنها تصادم الواقع والعلم حين ترسخ في أذهان الأطفال خرافة القوة المتحولة، كـ (سوبرمان) و(بات مان)، والتي أصبحت وسيلة مفضلة في الإعلانات الموجهة للأطفال!

وهذا يتناقض كلياً مع أبجديات الإسلام التي نعلمها للأطفال في الأسرة والمدرسة، ومن هنا يخرج لنا جيل مشوّه فكرياً ومفاهيمياً تجاه الدين والواقع.

أيضاً تقوم هذه القنوات وعبر برامج الأطفال بإعادة نشر خرافات وكذبات التنجيم والفلك في عقول الصغار، وترويج السحر وتجميله في عيون الصغار، عبر قصص الساحرات والمكنسة الطائرة ومؤخراً أفلام هاري بوتر، فبعد أن غابت هذه الأمور بفضل انتشار الدين الصحيح والعلم السليم، تعود العلمنة والليبرالية لنشر الخرافات!!

أما على صعيد المخاطر التنصيرية على أطفال المسلمين فنجد الكثير من برامج الأطفال - لكونها مدبلجة ومترجمة من ثقافة مسيحية- ، تحتوي على الكثير من الإشادة والصور والأسماء المتعلقة بالكنيسة والصليب وبابا نويل والكريسماس، مما يتناقض مع الإسلام، فالطفل الذي أول ما يحفّظه أهله أو المسجد أو الأسرة سورة الصمد التي تتعلق بالوحدانية، يصطدم بالتثليث والتعدد والشرك عبر صور جذابة وقصص جميلة، مما يرسخ في ذهن الصغار ويحدث فيها بلبلة.

ومن هنا يأتي واجب الأسرة أولاً في رعاية عقيدة أبنائها من هذه البرامج بمقاطعتها تماماً، وبالاهتمام البالغ في ترسيخ الإيمان الصحيح في عقول وقلوب أبنائها، فهذا الواجب لن يقوم به الإعلام أو المدرسة أو حتى المسجد مع الأسف!

في الفصل الثاني تناول الباحث المضمون الشيعي لقناة طه الشيعية والمخصصة للأطفال، ورغم أن الباحث ركز على المخاطر العقدية على أطفال المسلمين من متابعة هذه القناة ومثيلاتها من قنوات الشيعة، إلا أن هذه القنوات والبرامج تكشف لنا عن شخصية وقناعات الجيل الشيعي القادم أيضاً!

فقد تبين للباحث أن مضمون برامج

الشيعة للأطفال تدور على ترسيخ العقائد الشيعية بطرق غير مباشرة ولكن شيقة وجذابة، تعتمد على حسن الصورة والشكل للأطفال المشاركين فيها وحسن الصوت، مع التركيز على مواضيع الأخلاق والوضوء والصلاة وهي ما قد يخدع كثيرا من الآباء والأمهات عن حقيقة هذه القناة.

فبرامج الأطفال الشيعية تركز على الاستغاثة بغير الله عز وجل وزيارة الأضرحة عبر أناشيد ولطميات يقوم بها أطفال صغار، مما يرسخ الشرك في أذهانهم، وتعظيم بعض الأماكن والشعارات والوسائل الشيعية كقم ومشهد من خلال الخبث الإعلامي بربط صور مكة والمدينة بمدن الشيعة، وشعارات لبيك يا حسين، والمهدي عجل الله فرجه، ورايات الشيعة وأعلامهم.

كما تقوم بشحن الأطفال بمظلومية الحسين وآل البيت عبر تقديم مسرحيات عن ذلك معتمدين على قصص مكذوبة غالبا، فيتسرب كره الصحابة رضوان الله عليهم لقلوب الصغار مع الغلو الزائد في حق آل البيت رضوان الله عليهم، وتربيتهم على الحقد على أهل السنة من خلال شعارات وأناشيد الثأر والانتقام.

ولعل من أخطر ما تبثه هذه القنوات في قلوب الأطفال، خاصة من الشيعة، التربية على العمل العسكري الميليشياوي، حيث تبث أناشيد للأطفال بالزي العسكري ويقومون بحركات عسكرية مع أناشيد من نحو «إن شاء الله نكون جنودك» يخاطبون المهدي فيها، وقد رأينا جيش القدس وجيش المهدي ومدى حقدهما على المسلمين ومدى إجرامهما بحقهم فلم يتورعوا عن قتل المسلمين وتعذيبهم واغتصاب نسائهم وحرق أطفالهم.

وفي الخاتمة نبه الباحث على أن المشكلة الأساسية هي في قلة الإنتاج الإعلامي الجيد مضموناً ومستوىً والموجه للأطفال، وأن هذه الثغرة لابد من حلها، وقدم بعض التوصيات في ذلك.

والدراسة هي صرخة تحذير لكل مخلص وغيور بضرورة وقاية أطفاله وأطفال المسلمين من السم الذي يدس لهم في (عسل التلفزيون)، وأن خطر ذلك سيكون وبيلاً في المستقبل على الجيل بأكمله وليس على فئة دون أخرى، فلا بد من الوقاية أولاً بالبعد عن هذه القنوات وبرامجها، ومن العلاج ثانياً بتوفير البديل الجيد والمناسب وهذا يحتاج إلى عمل دؤوب وضخم.





الولي الفقيه بياع حشيش!

قـــالوا: أول مجموعــة ألقــي القــبض عليهــا تنقــل المخــدرات كانــت بعــد شــهر واحــد مــن الاحــتلال وكــان عــدد أفرادهــا ١٤ فــرداً ينتمــون لقــوات ظفــر إيــران، ثــم بعــدها بــشهرين ألقــت القــوات البريطانيــة المحتلــة القــبض علــى تــاجر المخــدرات الإيرانــي صــهر زرنــدي في البــصرة وهــو يحمــل كميــة كــبيرة منهــا، وســلمته إلى بغــداد، ليخــرج بعــد شــهر ســالماً غانمــاً إلى أهله في إيران بأمر من حوزة السيستاني.

أمــا بعــد كــل هــذه الــسنوات فقــد تطــور الوضــع بــشكل كــبير جــداً خــصوصاً بعــدما مــنح نــوري المــالكي الــشرعية لهــذه التجــارة قبــل أقــل مــن ســنتين عنــدما أعطــى أوامــره للجمــارك وقواتــه الأمينــة بعــدم تفتــيش أمتعــة الــزوار الإيــرانيين، وعاملــهم معاملــة الشخــصيات الدبلوماســية، حيــث تم اكتــشاف أن كــثيراً مــن هــؤلاء الــزوار يجلبــون معهــم المخــدرات لبيعهــا في كــربلاء والنجــف فيغطــون بريعهــا نفقــات ســفرهم، وهــذا مــا يفــسر ســبب وجــود أكــبر كميــة مــن المخــدرات في كــربلاء والنجــف لتــأتي المحافظــات الجنوبيــة بالدرجــة الثانيــة، ويــتم بيــع المخـــدرات وترويجهـــا في محافظـــات النجـــف وكـــربلاء في المكتبــات الــتي تبيــع الكتــب الدينيــة ومــن يتــولى بيعهــا أشــخاص يرتــدون زي رجــال الــدين هنــاك، وهــذه معلومــات وردت عــن مــصادر في الــشرطة إلى الإعــلام، أمــا في الجنــوب فطريقــة دخــول المخــدرات مختلفــة لأنهــا تــأتي عــن طريــق المــوانئ الــتي تــسيطر عليهــا الميليــشيات الــشيعية، وهــذه بعيــدة عــن التفتــيش، وأكثــر مــن ذلــك فــإن مــن يلقــى القــبض عليــه وبحوزتــه شــيء مــن المخــدرات تــأتي الميليــشيات وتخرجــه مــن التوقيف فوراً.

هــذه المــشكلة هــي أكــبر مــن كونهــا مــشكلة عراقيــة، لأن كميــات المخــدرات الداخلــة إلى العــراق أكــبر بكــثير مــن الاســتهلاك المحلــي، وبحــسب مــصادر في الــشرطة فــإن العــراق يــشكل قاعــدة لانطــلاق هــذه المخــدرات إلى ســوريا ولبنــان والكويــت والــسعودية والبحــرين عــن طريــق زوار المراقــد الــشيعية العائــدين إلى بلــدانهم، وبــذلك تحقــق إيــران «الــولي الفقيــه» أمــرين مهمــين، الأول تمويــل تمــددها في العــراق والمنطقــة مــن هــذه التجــارة، والثــاني تــدمير البنيــة الأخلاقيــة والاجتماعيــة لــدول المنطقــة العربيــة، فهــل يــدرك اللاهثــون خلــف إيــران مــا تفعلــه بهم؟

الوطن البحرينية
٢٠١٦/٢/٦

نقطة أول السطر!

قـــالوا: إن اشــتداد وطْــأة المــؤامرة هــذه الأيــام علــى أهــل الــسنة، خاصــة بالــشام والعــراق والــيمن، يعــني أننــا في حالــة كــسر عظــم للمــشروع الــصفوي الرافضي أو تثبيته.

تغريدة
للشيخ داعي الشهال

مؤامرة جديدة ضد مسلمي الغرب

قــالوا: نظمــت حركــة «أوروبيــون وطنيــون ضــد أســلمة الغــرب» (بغيــدا) مظــاهرات في ١٤ مدينــة أوروبيــة، حــاملين الأعــلام الإســرائيلية واليابانيــة والروسية.

عربي ٢١ – ٢٠١٦/٢/٦

ألعوبة الأقلية والأكثرية في قتل المسلمين

قـالوا: في الوقت الذي تباد فيه الأكثرية على يد الأقلية في سوريا، فـإذا انتفضت الأكثرية انتفاضة المقتول على يد «بعض الأقلية» تصايح العالم: إنهم أقلية، وفي الوقت الذي نجد الأكثرية في أراكان تبيد الأقلية فلا عين تطرف لهم، بحجة أن الحكم في يد الأكثرية!!

موسى الغنامي

ولن تشاهد!

قــالوا: للأسف لم نشاهد وفدا من القطيف قدم للتعزية مثلما فعل وفد القصيم، فلِمَ الانبطاح الزائد لما يحدث في مناطق الشيعة!

تغريدة

ملتقى أهل العلم

اتفقوا على الإسلام

قــالوا: هنــاك اختطــاف للإســلام مــن إيــران الــصفوية وداعــش بمباركــة أمريكــا، الحكمــة الـسياسية في المواجهة تفرض تعزيز تطبيق الإسلام الحق والوعي به.

تغريدة

عبدالله الحصين

إيران = داعش

قــالوا: تعلــن الــسعودية وحلفاؤهــا أنهــا ســوف تتدخل لقتال «داعش» في سوريا، ثم تعلن إيران أن السعودية إذا دخلت ستهزم .. إيران المتحدث الرسمي لداعش.

تغريدة

بدر العامر

من يلتقط الفرصة

قــالوا: تـصدع الجـدار الـدولي وبـدأ الخـلاف يـساعد المـرابطين والـداعمين علـى اسـتثمار الفجـوات الدولية ومنحهم القدرة على التحرك بخلاف ما لو كان التطابق قائماً.

تغريدة

عادل محمد الحوالي

(لا يألونكم خبالا)

قــالوا: الطائفي مجلس الأمن يستنكر الحادث الإرهابي في مسجد الرضا بالإحساء ويسكت عن الحادث الإرهابي في مسجد الطوارئ بعسير.

تغريدة

د. محمد عبد الكريم

موازين مائلة دوما

قـــالوا: في تنــاقض فاضــح يهــوّن العلمــانيون والموالــون لإيــران مــن دور العقيــدة الــشيعية في سياســة إيــران وأذنابهــا، بالمقابــل يتهمــون زورا الــسلفية بأنهــا محركة داعش!

تغريدة

أسامة شحادة



"الجزيرة للدراسات" يرصد موقف النخبة من إيران

موقع الجزيرة نت

أظهر استطلاع للرأي نشره مركز الجزيرة للدراسات أن النخبة العربية تنظر بسلبية لواقع العلاقات العربية الإيرانية ومستقبلها، ولدور علماء الدين في تدهور العلاقات بين الجانبين، كما رأى المشاركون أن السياسة التي انتهجتها إيران تجاه ثورات الربيع العربي تركت تأثيرًا سلبيًّا على صورتها لدى النخبة العربية.

ونشر مركز الجزيرة للدراسات اليوم الاثنين نتائج الاستطلاع المعنون بـ«توجهات النخبة العربية نحو إيران ودورها في المنطقة ومستقبل العلاقات العربية الإيرانية».

وأوضح المركز أن الاستطلاع يعد الأول من نوعه الذي يتناول العلاقات العربية الإيرانية والموقف من الدور الإيراني في المنطقة العربية وتوجهات النخبة العربية نحوها.

وأظهرت النتائج أن النخبة في الوطن العربي تنظر بسلبية عالية إلى المستوى الذي وصلت إليه العلاقات العربية الإيرانية، وتنظر بتشاؤم إلى مستقبل هذه العلاقات.

وأكد غالبية المشاركين (٨٧٪) أنهم مهتمون بموضوع العلاقات العربية الإيرانية، وقال ٦١٪ من المشاركين إن اهتمامهم بالشأن الإيراني أصبح أكثر مما كان عليه قبل ثورات الربيع العربي في ٢٠١١.

وكشفت النتائج أن الأغلبية تقيِّم الموقف الإيراني من خلال سياسات طهران في سوريا، وأكدت أن السياسة التي انتهجتها إيران تجاه ثورات الربيع العربي تركت تأثيرًا سلبيا على صورتها لدى النخبة العربية.

وبينت النتائج أن ٥٨٪ من المشاركين يعتقدون أن إيران غير جادّة في بناء علاقات جيدة مع العالم العربي، في وقت عبّر ٦١٪ عن اعتقادهم بأن الدول العربية جادّة في بناء علاقات جيدة مع إيران.

وحملت غالبية آراء النخبة العربية تقييمًا سلبيًا لدور علماء الدين في إيران والعالم العربي في توتر العلاقات العربية الإيرانية. ورأى غالبية المشاركين أن الصورة النمطية السلبية عن العرب منتشرة لدى الإيرانيين، كما أن الصورة النمطية السلبية عن الإيرانيين منتشرة لدى العرب.

ووافق ٨٨٪ من المشاركين على أن إيران تستخدم القضية الفلسطينية لتعزيز نفوذها في العالم العربي، وأوضحت النتائج أن ٩٠٪ من المستجيبين يرون أن تقاعس الأنظمة العربية عن دعم القضية الفلسطينية عزَّز من النفوذ الإيراني.

وبيَّنت النتائج أن ٥٩٪ من المشاركين يؤيدون إنشاء قوات عسكرية عربية مشتركة لردع إيران عن التدخل في المنطقة، في حين عارض ٨٥٪ الاستعانة بقوات خارجية لمواجهة إيران.

وأظهرت النتائج أن ٥٦٪ عارضوا مقولة: إن إيران ما زالت تحافظ على القيم الأولى للثورة الإسلامية التي جرت عام ١٩٧٩. وقال ٩٢٪ إنهم يعتقدون أن إيران لا تمثّل نموذجًا يُحتذى في الحكم، وأكد ٦٦٪ أنها بلد غير ديمقراطي.

يذكر أن الاستطلاع شمل ٨٦٠ مشاركا أُجريت معهم مقابلات هاتفية ضمن عيِّناتٍ ممثِّلة للنخبة العربية في ٢١ دولة عربية، ونفذ خلال الفترة من ٣٠ سبتمبر/أيلول إلى ٣٠ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٥.

الجماعة الحوثية...
بين الوطنية والطائفية والسلالية

حسين الوادعي – صنعاء اليوم ٢٠١٥/١٢/٢٤

تلقيت الكثير من الانتقادات على مدار السنة الماضية بسبب وصفي للحوثيين انهم جماعة «طائفية سلالية».

بعض الانتقادات تنكر اي بعد سلالي طائفي للحوثية وتعتبرها جماعة «وطنية». بينما رأى آخرون انني اكرس الطائفية والسلالية عندما اصنف جماعة يمنية «وطنية» بالطائفية والسلالية.

لنضع النقاط على الحروف إذا ومن خلال وثائقهم وأدبياتهم.

ادعو كل يمني الى قراءة «الوثيقة الفكرية والثقافية» التي اصدرتها القيادات الدينية للحوثيين في فبراير ٢٠١٢ وصدق عليها عبد الملك الحوثي بخط يده كاتبا عليها «هذه رؤيتنا وعقيدتنا»..

ولست ابالغ إذا قلت انها واحدة من أخطر الوثائق بما تحمله من مضامين سياسية ودينية وعرقية في غاية الخطورة.

أولا: آل البيت مصطفون إلهيا وفي مرتبة أعلى من بقية البشر:

يحسب للحوثيين انهم لم يجاملوا ابدا فيما يتعلق باعتقادهم في «الاصطفاء الالهي» لآل البيت. تقول الوثيقة: « واما مسألة الاصطفاء فالذي نعتقده أن الله سبحانه وتعالى يصطفي من يشاء من عباده جماعات وافراد ... ونعتقد ان الله اصطفى اهل بيت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فجعلهم هداة للامة وورثة للكتاب من بعد رسول الله الى ان تقوم الساعة وانه يهيئ في كل عصر من يكون منارا لعباده وقادرا على القيام بأمر الامة والنهوض بها في كل مجالاتها...»

لكي نفهم ما يعنيه هذا لنعد قليلا الى تعريف العنصرية.

عرف خبراء الاجتماع العنصرية بانها «ادعاء جماعة ما تميزها وعلوها عن المجموعات الاخرى بسبب عرقها او لونها او معتقداتها وبالتالي حقها في التحكم في الفئات الادنى منها».

وانطلاقا من هذا تبدو نظرية الاصطفاء الالهي عنصرية قائمة على اساس السلالة. وتبدو عنصرية «الاصطفاء» أكثر تطرفا حتى من بعض العنصريات الحديثة.

قامت العنصرية النازية مثلا على رقي «الجنس الآري». وبناء عليه ادعى هتلر ان كل الالمان (وليس فئة معينه من الالمان) مصطفون عرقيا. وقامت العنصرية البيضاء في امريكا وجنوب افريقيا على الموقع المتميز لكل المواطنين البيض وليس لفئة او اقلية داخل البيض.

هذه العنصريات كانت عنصرية الاغلبية ضد الاقلية. اما بالنسبة لعنصرية «الاصطفاء» فهي نوع من عنصرية الاقلية ضد الاغلبية. وهي اشبه ما تكون بعنصرية اليهود «شعب الله المختار» في أوروبا ضد الاكثرية من الاوربيين والتي ادت فيما بعد الى صعود مشاعر العداء للسامية.

وعندما أصف الحوثيين بانها جماعة سلالية فإنما استند الى ادعائهم الواضح والمثبت بتفضيلهم واصطفائهم على العالمين اعتمادا على ذلك النسب الذي يدعونه كأحفاد للرسول. ونحن نعرف جيدا ما هي عواقب هذا الادعاء من رفض الزواج مع «السلالات» الاخرى حرصا على النقاء العرقي ومن ادعاء افضلية في الحكم والمال والسلطة لا تجوز لغيرهم.

ثانيا: تداول السلطة محسوم الهيا بـ«الوصية» لعلي وابناؤه من بعده:

كتبت مرات عديدة أن الجماعة التي تؤمن ان مسألة «نقل السلطة» قد حسمت الهيا والى الابد في وصية «غدير خم» لا يمكن ان تؤمن بالديمقراطية.

وها هي الوثيقة الفكرية والثقافية تؤكد بدقة صحة ذلك. تحدد الوثيقة بوضوح ان « الامام بعد رسول الله صلى الله عليه وعلى إله وسلم هو اخوه ووصيه امير المؤمنين علي بن ابي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم

الائمة من اولادهما كالإمام زيد والامام الهادي والامام القاسم العياني والامام القاسم بن محمد ومن نهج نهجهم من الائمة الهادين»

نحن هنا امام نقلة منطقية من «الاصطفاء» الى «حصرية الولاية» في آل البيت. فالإيمان بسمو وعلو هذه السلالة دون غيرها يقتضي بالضرورة الايمان بأحقيتها في الحكم . وهو حق الهي غير قابل للنقاش او الانتزاع من وجهة نظر مدعي الولاية والوصية.

فكيف يمكن لهذه الحركة ان تؤمن بالديمقراطية والتداول السلمي للسلطة ما دامت تتعارض مع عقيدتهم ويقينهم الديني- السياسي؟

ثالثا: آل البيت لا يحتكرون السلطة فقط ولكنهم يحتكرون الاجتهاد والعلم أيضا:

لو كان «الاصطفاء» يعني احتكار آل البيت للسلطة فقط لربما كان الامر أهون. الحقيقة ان آل البيت حسب الوثيقة الفكرية يحتكرون الاجتهاد والعلم ايضا!

القرآن وآل البيت شيء واحد كما نفهمه من الوثيقة.!!

آل البيت ليسوا «ورثة القرآن» ولكنهم «قرناء القرآن». بل هم «قرآن» من نوع اخر. واذا كان القرآن هو الوحي المنقطع فان آل البيت هم الوحي المستمر. تقول الوثيقة: « وان نهج الهداية والنجاة والامان من الضلال هو التمسك بالثقلين « كتاب الله»....والثقل الاصغر عترة رسول الله وهداة هذه الامة وقرناء الكتاب الى يوم التناد ...».

لا يمكن التفريق بين القرآن وآل البيت في كثير من فقرات الوثيقة . مثل هذه الفقرة على سبيل المثال:

«اما اصول الفقه فما كان مخالفا للقرآن الكريم او بدلا عن آل محمد فهو مرفوض ومنتقد من الجميع وما كان منه موافقا للقرآن ويستعان به على فهم النصوص الشرعية في اطار آل محمد...»!

حينما تقرأ ادبيات الجماعة الحوثية تكتشف تلك النظرة المضمرة للقرآن كميراث خاص بآل البيت وحدهم من جدهم الاعلى (محمد). فاذا كانوا وحدهم من يحق لهم الاجتهاد والتفسير فان هذا يجعل القرآن نفسه ملكية خاصة لمن له الحق الحصري في فهمه وتفسيره.

آل البيت ليسوا مجتهدين حصريين فقط ولكنهم مرجعية نهائية ايضا: فحين تناقش الوثيقة مسألة «السنة» فإنها تشترط « ان تكون في اطار القرآن مرتبطة به لا حاكمة عليه ولا معارضة لنصوصه وانها مرتبطة بالهداة من آل محمد كأمناء عليها في اعتماد الصحيح من غيره».

هذه النظرة الكهنوتية السلالية للعلم تتجاوز بدرجات احتكار الكنيسة للعلم والاسرار الكنسية في العصور الوسطى. فاذا كانت الكهنوتية المسيحية مفتوحة لكل شخص ينجح في دخول السلك الكنسي والصعود عليه، فان كهنوتية آل البيت اشد قتامة اذ انها كهنوتية مغلقة على سلالة وعرقية معينة.

كل شيء يبدأ من آل البيت وينتهي اليهم في العلم والسياسة وحتى في شؤون الحياة الأخرى.

كان الصديق علي البخيتي قد تحدث في مقال سابق عن «الهاشمية السياسية» منتقدا ظاهرة ان اكثر من ٨٥٪ من مسؤولي اللجان الثورية والشعبية والامنية كانوا من الهاشميين. قد يبدو هذا الانتقاء للهاشميين عرضيا وغير مفهوم لمن يحكم على الجماعة الحوثية بناء على شعاراتها الثورية المعلنة. لكن الاختيار يصبح مقصودا ومخططا بل وواجبا دينيا عندما يتعرف على افكارهم الحقيقية وهي الافكار التي يحرصون على اخفائها في خطابهم السياسي الثوري حتى لا يصنفوا كجماعة طائفية سلالية.

رابعا: تاسيس الاستبداد الكهنوتي. نظرية «العَلَم» ووضع علماء آل البيت فوق النقد:

إذا كان آل البيت مصطفون على العالمين. وإذا كانوا يمتلكون الحق الحصري في الاجتهاد، واذا كانوا قرناء القرآن (والقرآن لا يقرن الا مع من هم بنفس مرتبته!)، فان ذلك يفضي بالضرورة الى وضع علمائهم فوق النقد وفوق التعديل. تقول الوثيقة:

«وما قد يقع من النقد للعلماء لا يقصد به علماء اهل بيت رسول الله وشيعتهم العاملين ولا علومهم وانما من لا يرى وجوب الجهاد للظالمين ولا يوجب امرا بمعروف ولا نهيا عن منكر بل يرى السكوت وطاعة من لا تجوز طاعته».

هذه الفقرة تجعل الاجتهاد ممارسة سرية حصرية ويقينية لا نقاش لها. والجانب الوحيد المتاح للنقد هو نقد العلماء إذا تقاعسوا عن الدعوة للجهاد وقتال الظالمين!

ولأن العنصريات تولد عنصريات أصغر داخلها فقد

ادت نظرية «الاصطفاء العام» لآل البيت الى الايمان باصطفاء خاص لشخص واحد (يجب ان يكون من البطنين) يصبح مرجعية العلم النهائية التي لا تناقش. هذه هي نظرية «العلَم» التي ابتكرها حسين الحوثي وهي نوع من (الاصطفاء داخل الاصطفاء)، وتأسيس لزعامة ليست طائفية وسلالية فقط ولكنها شمولية متألهة تحكم بالقسوة وتستمد سلطتها من الله الذي يمدها بالعلم والتوفيق.

الجماعة الحوثية بين الشعار والحقيقة:

ابتداء من ٢٠١٤ تبنت الحركة الحوثية خطابا ثوريا يتحدث عن مكافحة الفساد والقضاء على مراكز النفوذ والتخلص من الهيمنة والشراكة وتنفيذ مخرجات مؤتمر الحوار.

لكن ما هو الخطاب الذي يعبر عن الاهداف الحقيقية للجماعة الحوثية؟ هل هو خطاب الثورة والصمود المكرس اعلاميا؟ أم خطاب الوصية والاصطفاء السلالي والعصمة وحصرية الولاية الذي يتداوله الاعضاء يوميا افرادا وجماعات؟ اترك الحكم لذكاء القاريء...

"اللوبي" الإيراني...
رجال طهران في واشنطن

حسين عبد الحسين – مجلة المجلة ٢٠١٤/٥/٦

المساومة الكبرى

على عكس الصورة التي يحاول النظام الإيراني أن يقدمها حول نفسه ومواقفه، لا يتعدى شعار «مرك بار أميركا»، أي الموت لأميركا، كونه كلاما لفظيا، فيما في الواقع تبتعد طهران عن العقائدية وتتبع سياسة عملانية تهدف إلى مصادقة واشنطن والتحالف معها، حتى تنال إيران اعترافا أميركيا بهيمنتها في منطقة الشرق الأوسط، وتفويضا لإدارة هذه المنطقة، خصوصا في وقت يسود شعور أميركي شعبي بالإرهاق من السياسة الخارجية.

لأن طهران ليست عقائدية بل واقعية، فقد عملت منذ منتصف التسعينات على تشكيل مجموعة ضغط، متعارف على تسميتها «لوبي»، داخل العاصمة الأميركية، وبتمويل من طهران وإشراف مباشر من البعثة الإيرانية الدائمة لدى الأمم المتحدة في نيويورك، نجحت إيران في خلق هذا اللوبي الذي راح مسؤولوه، يتصدرهم إيراني – سويدي على المذهب الزرادشتي يقيم في واشنطن، يتباهون بتحقيقهم النتائج، وبإلحاقهم هزائم بأعتى اللوبيات الأميركية، وعلى رأسها ذاك المؤيد لإسرائيل.

خبراء أم مؤيدو نظام إيران؟

في مكتبي بواشنطن، وصلت إليّ دعوة من «مركز وودرو ويلسون» المرموق لحضور ندوة بعنوان «إيران في السنوات الخمس المقبلة: تغيير أم المزيد من الشيء نفسه؟» الموضوع الإيراني ساخن، وندوات من هذا النوع غالبا ما تستقطب حشدا من المعنيين من مسؤولين أميركيين وخبراء وإعلاميين.

فتحت الدعوة، فإذا بي أعرف واحدة من المتحدثين، وهي صحافية أميركية تكتب عن الشرق الأوسط بشيء من الموضوعية. أما المتحدثون الآخرون، فلم يكونوا من الأميركيين، مما دفعني إلى التحري عنهم. واحد إيراني، ويدعى بيجان خاجيهبور، ويدير «شركة استشارات»، يفترض أن مقرّها النمسا، لكني أقرأ اسمه منذ فترة كمحاضر في الندوات المخصصة لإيران هنا في العاصمة الأميركية.

ثم ببحث سريع، وجدت أن شركة الاستشارات المزعومة، «آتية إنترناشونال»، تابعة لـ«مجموعة آتية» في طهران، التي تقدم نفسها، على موقعها على الإنترنت، كمؤسسة متخصصة في تقديم «المساعدة والنصح للشركات الأجنبية للدخول والعمل بنجاح في السوق الإيرانية».

المتحدث الثاني باحث فرنسي اسمه بيرنارد هوركارد، أفضى بحثي عنه إلى مقابلة أجرتها معه قناة «يورونيوز» في أبريل (نيسان) الماضي، وقال فيها: «منذ ٣٤ عاما، ونحن نقول كل يوم إن الجمهورية الإسلامية قاربت أن تنهار، ولكنها ما زالت موجودة، وهي أكثر نظام حكومة مستقر في الشرق الأوسط، ونحن نرى ذلك، خصوصا بعد الربيع العربي، وهي الدولة التي يمكن أن تتقدم إلى الأمام». ثم يدعو هوركارد إلى السماح لإيران بالاستمرار في تخصيب اليورانيوم، والتوصل إلى اتفاق معها يفضي إلى رفع

العقوبات عنها، وتطبيع العلاقات مع الغرب، وخصوصا الولايات المتحدة.

المتحدث الثالث، روبرتو توسكانو، إيطالي وسبق أن عمل سفيرا لبلاده لدى إيران بين الأعوام ٢٠٠٣ و٢٠٠٨. في مقالة له في «هفنغتون بوست»، قال توسكانو من هتاف الإيرانيين «الموت لأميركا»، وكتب أنه من الأفضل للسياسات الأميركية أن لا تلتفت إلى خطاب النظام المعادي للولايات المتحدة، وأن تمضي قدما في الانفتاح عليه، وإلا فإن البديل الوحيد هو الحرب، وعند ذاك، يتوحد الإيرانيون خلف قيادتهم، وتصبح هتافاتهم بالموت لأميركا ذات معنى.

وختم توسكانو أنه عندما «يقول الإيرانيون الأميركيون (خصوصا المجلس القومي الإيراني الأميركي): لا تضربوا إيران. هم لا يقولون ذلك، لأنهم متساهلون مع النظام، بل لأنهم يعرفون أن أي هجوم سينعش النظام شعبيا، لذا اسمحوا لي بأن أؤكد أن صورة الإيرانيين ككارهين لأميركا هي صورة خاطئة».

أما مديرة الندوة، حسبما ورد في الدعوة، فهي الإيرانية – الأميركية هالة اصفندياري، وهي مديرة برنامج الشرق الأوسط في المعهد، وكان النظام اعتقلها في عام ٢٠٠٧ لمدة أربعة أشهر في السجن الانفرادي في ايفين، ثم أفرج عنها، ومنذ ذلك اليوم واصفندياري تصر على ضرورة انفتاح أميركا على إيران، وعلى رفع العقوبات عن طهران، والسماح لها بالمضي قدما ببرنامجه النووي. ولهذا السبب، تقيم اصفندياري ندوات في المعهد الذي تديره، وتوقع على عرائض لرفع العقوبات.

التغيير المقبل

إذن، حتى من دون ذهابي إلى الندوة حول إيران، كان يمكنني أن أتكهن مسبقا بمجرياتها؛ مجموعة من الإيرانيين، بعضهم ممن اكتسبوا الجنسية الأميركية أو الأوروبية، وأوروبيون مؤيدون للانفتاح غير المشروط على إيران، يتكلمون على مدى ساعتين حول التغيير المقبل مع انتخاب حسن روحاني رئيسا لإيران والفرصة السانحة لاقتناصها، والعوائد المالية للانفتاح على طهران، ويحذرون من مغبة عرقلة أميركا التوصل إلى اتفاق، حتى لو تعنتت إيران وتمسكت بشروطها النووية، بحجة أنه لا اتفاق يعني حتما الحرب، وهي كلمة لا يستسيغها الأميركيون بعد حربي العراق وأفغانستان.

ويبدو أن توسكانو، الذي يأخذ على عاتقه تجميل صورة إيران، والتحذير من الحرب، والتمجيد بالمجلس القومي الإيراني – الأميركي، نشر مقالته بدعم من المجلس نفسه، الذي يترأسه الإيراني – السويدي المقيم في واشنطن تريتا بارسي، الذي يكتب دوريا في هذا الموقع.

وبارسي صديق وزير الخارجية الإيراني جواد ظريف منذ أكثر من عقد، عندما كان الأخير يعمل مبعوثا دائما لبلاده في الأمم المتحدة بنيويورك. وفي منتصف العقد الماضي، اتهم الإيراني المعارض حسن داعي الإسلام بارسي بالعمل لمصلحة النظام، فما كان من بارسي إلا أن أقام دعوى قدح وذمّ بحق داعي الإسلام، فأمرت المحكمة بفتح البريد الإلكتروني لبارسي، ليتبين أنه كان على اتصال بظريف، وأنه قام بتنسيق لقاءات بين أعضاء في الكونغرس من الحزبين مع المسؤول الإيراني.

المحاكم الأميركية تثبت ارتباط اللوبي الإيراني بطهران

الرسائل الإلكترونية التي جرى الكشف عنها أظهرت أن ظريف وبارسي التقيا للمرة الأولى في مارس (آذار) ٢٠٠٦، وأن ظريف مرر إلى بارسي وثيقة «المساومة الكبرى» التي اقترحها الإيرانيون على الأميركيين إبان حرب العراق في عام ٢٠٠٣، ورفضتها واشنطن.

وتظهر وثائق المحكمة أن طهران قدمت الوثيقة للسفير السويسري في إيران، الذي يمثل المصالح الأميركية، والذي مررها إلى الأميركيين.

وفي وقت لاحق، ادعى الأميركي فلينت ليفيريت أنه وزوجته تسلما الوثيقة من الإيرانيين أيضا ومرراها إلى الإدارة الأميركية. وليفيريت مؤلف كتاب حول حياة الرئيس السوري بشار الأسد، ويتمتع بعلاقة جيدة بدمشق وطهران، ويقول في مقابلة مع الكاتب لي سميث إنه من الأميركيين القلائل الذين يزورون طهران دوريا ومن دون فيزا. ويعتقد سميث أن ليفيريت يعتقد أنه في حال التوصل إلى اتفاق أميركي – إيراني، فإنه سيكون من أول المستفيدين ماليا من العقود المقبلة إلى حد أطلق سميث على ليفيريت لقب

«رجل إيران في واشنطن».

وفي رسائل بارسي الإلكترونية التي كشفتها المحكمة تنسيق بينه وبين ظريف حول مؤتمر في الكونغرس بالتعاون مع «مؤسسة أميركا الجديدة»، كجزء من مشروع أطلقه بارسي في عام ٢٠٠٦، بعنوان «مشروع التفاوض مع إيران». ويرفق بارسي رسالته الإلكترونية إلى البعثة الإيرانية بتقدير تكاليف ستة أشهر من العمل لهذا المشروع، الذي يتضمن دعوة ١٠ إلى ١٥ خبيرا في الشأن الإيراني من حول العالم، بتكلفة تبلغ مائة ألف دولار.

وفي سبتمبر (أيلول) ٢٠١٢، حكمت المحكمة ضد بارسي، وغرمته مبلغ ١٨٥ ألف جولار كتعويضات لداعي الإسلام.

والبعثة الإيرانية الدائمة لدى الأمم المتحدة في نيويورك لا تشرف على «اللوبي الإيراني» في واشنطن فحسب، بل كانت تشرف كذلك على عمل ما يعرف بـ«مؤسسة علوي»، حسبما نقلت صحيفة «كريستيان ساينس مونيتور» عن محققين فيدراليين أميركيين في نوفمبر (تشرين الثاني) ٢٠٠٩.

و«مؤسسة علوي» أنشأها شاه إيران في عام ١٩٧٣ تحت اسم «مؤسسة بهلوي»، وفي عام ١٩٧٩، تحول اسمها إلى مؤسسة المستضعفين، وفي وقت لاحق أصبحت معروفة بـ«مؤسسة علوي». وفي فبراير (شباط) من عام ٢٠١٢، رفعت شرطة نيويورك السرية عن وثائق لها تعود إلى مايو (أيار) ٢٠٠٦، وفيها أن «أجهزة الاستخبارات الإيرانية تعمل داخل الولايات المتحدة عبر مؤسسات متعددة، منها (مؤسسة علوي)»، وهي تهمة نفتها المؤسسة التي تكرر على موقعها أن مهمتها الأساسية هي «شرح الثقافة الإسلامية، واللغة الفارسية والأدب والحضارة». وفي صفحات أخرى على موقعها، ترى المؤسسة أن هدفها دعم «الثقافة الشيعية».

وتملك المؤسسة ناطحة سحاب في قلب مدينة نيويورك تعود عليها بإيجارات ضخمة تستخدمها في تمويل أكثر من ٣٠ مؤسسة تعليمية في عموم الولايات المتحدة. ويعتقد خبراء أن طهران تستخدم هذه الأموال لتكافئ الأكاديميين الذين يكتبون ما يرضيها، والمؤسسات التربوية التي تصدر دراسات تخدم مصلحة طهران.

إلا أنه على الرغم من نفي «مؤسسة علوي» أي ارتباط مع طهران، كشفت «مكتب التحقيقات الفيدرالي» (إف بي آي) أن رئيس المؤسسة فرشيد جاهدي قام في عام ٢٠٠٨ بإتلاف وثائق تثبت أن المؤسسة سددت جزءا من أموالها لبنك ملي في طهران، والمملوك من الحكومة الإيرانية، وأن جزءا من الأموال قد يكون جرى استخدامه في تمويل البرنامج النووي الإيراني.

وفي أبريل (نيسان) ٢٠١٠، حكمت محكمة فيدرالية في نيويورك على جاهدي بالسجن ثلاثة شهور بتهمتي عرقلة التحقيقات وإعاقة العدالة، وجرى التحفظ على جزء كبير من أموال وممتلكات المؤسسة، التي ما زالت تعمل، وإنما بحذر.

نشاطات اللوبي الإيراني في واشنطن تثمر

في ديسمبر (كانون الأول)، وقبل أيام من انعقاد قمة مجلس التعاون الخليجي في الكويت، عقد خبراء ومسؤولون عرب وأجانب حوارا سنويا في المنامة توّجه وزير الدفاع الأميركي تشاك هيغل بحضور جدد أثناءه تعهد بلاده بأمن الخليج في وجه أي تهديد إيراني، لكن تعهدات الوزير الأميركي لم تكن بريئة، بل جاءت بمثابة تطمينات في وقت كانت فيه حكومة بلاده تتفاوض مع إيران، سرا وعلنا. ومع هيغل، حضر عدد من مستشاريه، الحاليين والسابقين، من أمثال أندرو بارازيليتي، وهو مدير موقع «آل مونيتور» حيث تعمل الباحثة في «مجلس الأطلسي» باربرا سلافين، التي تزور إيران بانتظام، وغالبا ما تنظم ندوات، على غرار اصفنديازي، تستضيف فيها وجوه لوبي طهران في واشنطن، بمن فيهم بارسي وخاجيهبور، وتؤلف بالاشتراك معهم دراسات تزعم أن العقوبات على طهران تؤذي الإيرانيين فقط من دون حكومتهم، مما يوجب حكما رفعها.

وسلافين تكتب علنا أن على واشنطن البحث عن مصالحها الفعلية، وأن ذلك يكون عبر الاستبدال بتحالفها مع الرياض تحالفا مع طهران، فيما كتب بارازيليتي أن على أميركا تكليف إيران حل الأزمة من سوريا، من دون شروط. والموقع يموله الأميركي من أصل سوري جمال دانييل، الذي جمع ثروة من عمله في قطاع النفط، والذي يعتقد كثيرون أنه يأمل بأن

تكافئه إيران بعقود نفطية في حال جرى رفع العقوبات عنها.

في المنامة، حيث حضر بارازيليتي، اندلعت أزمة كادت تطيح بالقمة الخليجية، عندما قام أحد الصحافيين بطرح سؤال على وزير الخارجية العماني يوسف بن علوي حول إمكانية قيام اتحاد خليجي، ليرد الأخير أن الاحتمال غير وارد، وأن عمان ستنسحب من المجلس في حال جرى التصويت عليه في قمة الكويت. هنا سارعت الدبلوماسية الكويتية لإنقاذ القمة التي كانت في طريقها لاستضافتها، فيما تبين في وقت لاحق أن السؤال والإجابة حصلا بتنسيق كان يهدف إلى إحراج المملكة العربية السعودية.

وفي واشنطن، استمرت نشاطات اللوبي الإيراني المتنوعة، التي تدعو جميعها لإسقاط العقوبات بشكل غير مشروط عن إيران وبالتحالف معها، حتى لو اقتضى ذلك التنازل لها في سوريا ولبنان والعراق وعموم المنطقة. ونشاطات اللوبي الإيراني تتضمن ندوات، وإصدار دراسات، وعقد مؤتمرات، ونشر مقالات في صحف أميركية متنوعة، وإقامة صداقات مع باحثين وخبراء أميركيين، كذلك مع مسؤولين في الحكومة وفي الكونغرس، ومع مساعديهم.

وفي الوقت الذي حاول فيه اللوبي الموالي لإسرائيل، والمعروف بـ«أيباك»، حض مؤيديه في الكونغرس على تمرير قانون يفرض عقوبات جديدة على إيران بمفعول متأخر، أي بعد سنة على الإقرار، وفي حال فشل المفاوضات الدولية مع إيران، التي أنتجت اتفاقية مؤقتة في نوفمبر الماضي في جنيف، وضع اللوبي الإيراني خطة محكمة للتصدي لمجهود العقوبات الجديدة.

ولوبي إسرائيل لديه سيطرة شبه مطلقة في مجلس الممثلين في الكونغرس، الذي تسيطر عليه غالبية من الحزب الجمهوري، والذي أقر نسخة من قانون العقوبات المطلوب على إيران. لكن مجلس الشيوخ يسيطر عليه الحزب الديمقراطي، الذي على الرغم من الصداقة التي تجمعه بلوبي إسرائيل، من غير الممكن له أن يعارض قرارات رئيس البلاد الذي ينتمي إلى الحزب نفسه. هكذا، جمع اللوبي الإسرائيلي ٥٩ صوتا من أصل ٦٠ مطلوبة لفرض الإقرار على زعيم الغالبية في المجلس هاري ريد، وعلى أوباما نفسه. وبغياب الصوت الوحيد المطلوب، تعثر مجهود فرض أي عقوبات جديدة على إيران في حال انهارت المفاوضات الدولية النووية معها، أو لم تتوصل إلى نتيجة.

لكن اللوبي الإيراني لم يقف متفرجا على أوباما، الذي كان في خضم مواجهة تشريعية مع أصدقاء إسرائيل، بل راح الإيرانيون يحشدون شعبيا لتأييد الرئيس ضد عقوبات جديدة. وفي خضم نشاطهم، عثر الإيرانيون على حلفاء نجحوا في تجنيدهم لتأييد المفاوضات مع إيران، أي مفاوضات، وبغض النظر عن نتيجتها. أما هؤلاء الحلفاء، وهم قوة سياسية شرسة لا يستهان بها، فهم مجموعات مناهضة للحرب في العراق وأفغانستان.

طبعا لا تؤدي دفعة جديدة من العقوبات على إيران إلى الذهاب إلى حرب معها حكما، لكن الإيرانيين نجحوا في تسويق هذه الفكرة، التي راح يرددها مسؤولو البيت الأبيض وحلفاؤهم في الكونغرس. كذلك تبنى فكرة «مفاوضات أو حرب» التحالف المناهض للحرب، وهو ما شدّ من عضد أوباما وقدم له دعما شعبيا في مواجهة غالبية الكونغرس في موضوع إيران.

تراجع اللوبي الإسرائيلي

«لغالبية الأميركيين هموم واهتمامات تمنعهم من متابعة السياسة الخارجية وتفاصيلها، مما يعطي مجموعة صغيرة لكنها مثابرة المقدرة على الهيمنة في هذه المواضيع»، يكتب بارسي فيما يبدو أنه تصوره لكيفية عمل اللوبيات في العاصمة الأميركية. مقالة بارسي صدرت على موقع «هفنغتون بوست» بعنوان «وهم أن أيباك لا تقهر»، على إثر تراجع اللوبي الإسرائيلي عن محاولة تمرير عقوبات جديدة على إيران.

ويضيف بارسي أن «أيباك» واجهت مجموعة من الهزائم، كان أولها بعدما تبنت توجيه أميركا ضربة عسكرية إلى سوريا في أعقاب الهجوم الكيماوي الذي شنته قوات بشار الأسد ضد مدنيين في ضواحي دمشق في أغسطس (آب). أما الهزيمة الثانية فجاءت في المواجهة حول إيران. في المواجهتين، يعتقد بارسي أن المزاج المعارض للحرب هو الذي أثبت فاعليته، وأن في المرة الثانية، استند البيت الأبيض لهذا المزاج، الذي ينشط فيه بشدة بارسي واللوبي الإيراني، لإحباط «أيباك» وأي عقوبات جديدة على إيران.

إلا أن المواجهة لم تنتهِ، حسب بارسي، الذي يؤكد أن الجولة المقبلة بين طرفين حدد واحد منهما على أنه اللوبي الإسرائيلي ولم يحدد الآخر، آتية في غضون أشهر، إذ إن لوبي إسرائيل، حسب الناشط الإيراني، سيفرد اهتمامه لنسف الاتفاقية النهائية التي يجري التفاوض عليها بين إيران والعالم.

طبعا لا يذكر بارسي أنه مؤلف كتاب يمتدح فيه إسرائيل، ويقول إنه لا عداء إيرانيا معها، وإن مصلحة أميركا تتمثل في دخول بتحالف مثلث الأضلاع، يجمع كل من أميركا وإسرائيل وإيران. لكن يبدو أنه بعدما تأكدت طهران من أن إسرائيل لن تسمح لها بحيازة سلاح نووي، قررت الانقلاب من محاولة مصادقة الإسرائيليين إلى مواجهتهم، خصوصا في عاصمة القرار العالمي واشنطن.

وحسب المواجهات القليلة الماضية، يبدو أن بارسي محق في أن لوبي إسرائيل ليس معصوما عن الخسارة، وأنه يمكن للوبي فتي –كمثل اللوبي الإيراني الذي أسسه بارسي ويقوده في واشنطن منذ نحو عقد– أن يلحق هزيمة بالإسرائيليين، وذلك بالتحالف مع تيارات داخلية أخرى، وفهم الصورة الأميركية بشكل دقيق ومتابعتها، وهو نشاط إيراني يبدو أنه قارب أن يثمر، خصوصا مع ترديد الرئيس الأميركي أن التغيير آتٍ، وأن واشنطن في طريق حتمي إلى مصالحة وصداقة مع طهران، وأن على حلفاء أميركا في المنطقة التكيف مع التغيير.

إيران تستعين بآلاف الأفغان في سوريا بعد عزوف مواطنيها عن القتال

عبد الستار حتيتة –٢٠١٥/٢/٣

قالت منظمة مجاهدين خلق الإيرانية المعارضة إن أعداد العناصر الأفغانية التي ترسلها إيران للحرب في صفوف قوات نظام بشار الأسد في سوريا ارتفعت بشكل ملحوظ في الشهور الأخيرة، وإن عدد هؤلاء المقاتلين كان لا يزيد على ٢٥٠٠، إلا أنه ارتفع إلى أكثر من سبعة آلاف أفغاني خلال عام ٢٠١٥. لكنه أشار إلى ظهور بوادر تململ بين هؤلاء المقاتلين الأفغان، بسبب الأسلحة القديمة وضعف التدريب وارتفاع عدد القتلى.

وأعدت المنظمة تقريرا حصلت «الشرق الأوسط» على نسخة منه، وينشر للمرة الأولى، يركز على الفرقة الأفغانية التي تحارب مع نظام الأسد، وتحمل اسم «فاطميون»، ويقودها إيراني قالت إن اسمه «أبو حيدر» وتعود أصوله إلى مدينة مشهد الإيرانية، مشيرة إلى أن نائبه رجل إيراني يدعى علي رضا فاتح. ووفقا للمنظمة نفسها، فقد واجه النظام الإيراني مشكلة داخلية بسبب عزوف الإيرانيين عن القتال في سوريا، ما جعله يستعين بالأفغان اللاجئين في إيران. لكن المنظمة قالت إن «النظام الإيراني» أصبح يواجه خلال الفترة الأخيرة مأزقا «في مجال تجنيد الأفغان»، حيث لوحظ أنه رغم حاجته الماسة ومساعيه الحثيثة لزيادة وجود الأفغان في سوريا، فإن هؤلاء «لم يعودوا يقبلون بالحضور في المعارك السورية».

وتابع التقرير قائلا إن معلومات منظمة مجاهدين خلق، المستقاة من مصادر داخل الحرس الثوري الإيراني، تفيد أن الأفغان الذين أرسلهم نظام طهران إلى سوريا في عام ٢٠١٥ بلغ عددهم أكثر من سبعة آلاف شخص، أي ثلاثة أضعاف عما كانوا عليه قبلها، لافتا إلى أن إيران كانت قد دفعت مع بداية الحرب في سوريا بأكثر من خمسة آلاف من قوات الحرس الثوري من النخبة، لكن تساقط كبار قادة الحرس الثوري الإيراني في سوريا، في الأعوام الأخيرة، أدى إلى «تذمر شعبي واستياء واسع في المجتمع الإيراني من توغل النظام في المستنقع السوري». وقال إنه لهذا السبب أخذ النظام الإيراني يدفع بالأفغان «الذين بدأوا هم أيضا في التململ من الدخول في المعارك في سوريا، بعد مقتل كثير منهم وضعف الإمكانات العسكرية»، رغم أن السلطات في طهران تتبع أساليب «لا إنسانية في دفع هؤلاء المغلوبين على أمرهم إلى الذهاب إلى أتون الحرب السورية ليكونوا وقودًا لحروب ولاية الفقيه».

وأشار التقرير إلى أن من بين الضغوط المطبّقة على الأفغان من جانب النظام الإيراني: «التهديد بالسجن، أو العفو عن السجناء منهم، وحتى تهديد

بالإعدام أو العفو عن المحكوم عليهم بالإعدام، لكي يوافقوا على الذهاب إلى سوريا»، بالإضافة إلى أن النظام يستغل حاجة نسبة كبيرة من هؤلاء الأفغان بسبب عدم وجود أوراق ثبوتية لديهم.

وتتلقى العناصر الأفغانية المجندة راتبا قدره ٥٠٠ دولار خلال فترة التدريب. ثم يتم إرسالهم من إيران إلى مطار دمشق بواسطة طائرات شركة تابعة لقوات الحرس الثوري، وذلك في مجاميع، تتكون كل مجموعة من مائتي شخص. وفي سوريا تقوم هذه المجاميع بزيارة روضة السيدة زينب والسيدة رقية أولا، ثم يتم توزيعها على الجبهات للقتال مع قوات نظام الأسد.

وتعود بدايات النواة لفرقة «فاطميون» حين تشكلت من عناصر أفغانية تابعة لقوات الحرس الثوري الإيراني ممن شاركوا في الحرب الإيرانية العراقية في ثمانينات القرن الماضي. وقال تقرير منظمة مجاهدين خلق إن كثيرا من هذه العناصر تحولت في الوقت الحالي إلى «قادة في قوات الحرس وقوة القدس». وتعد فرقة «فاطميون» جزءا من «قوة القدس».

وتضمن التقرير جانبا يخصّ «منظومة القيادة لفرقة (فاطميون)»، وقال إن قائد هذه الفرقة في إيران يدعى «الحاج آقا مرتضوي أو علوي، وهو قائد معسكر أنصار لقوة القدس بمدينة مشهد الإيرانية». وتطرق التقرير إلى قائد الفرقة في سوريا، وهو أبو حيدر الذي قال إنه يشغل أيضا موقع نائب قائد «معسكر أنصار» في إيران. وأضاف أن من بين قادة فرقة «فاطميون» في سوريا، كل من سيد علي حسيني، وعلي أكبر، بينما يشرف على متابعة ما يتعلق بشؤون الفرقة الأفغانية، عدد من كبار قادة قوة القدس في طهران ومنهم إمام قلي، ومحمود، الذي يرأس «مؤسسة المتفانين (إيثاركران)» أيضًا.

وفي ما يخص الوحدات التابعة لفرقة فاطميون في سوريا، قال التقرير إن لها وحدات المشاة والدروع والقناصين والصواريخ، موضّحا أن الفرقة نفسها «لها عشرات من وحدات المشاة، يبلغ عدد القوات في كل كتيبة مائتي شخص، وفي العام الماضي كانت هذه الفرقة تمتلك ١٠ إلى ١٥ كتيبة». وتابع أن التقارير الحديثة للعام الحالي تفيد بأن العدد الإجمالي لجميع قوات الحرس في سوريا ارتفع إلى ثلاثة أضعاف، مشيرا إلى أنه تمت تسمية معظم الكتائب بأسماء قادتها المقتولين من الأفغان ومنها، كتيبة جاويد، وكتيبة إبراهيم، وكتيبة محمد، وكتيبة حسين فدايي، وكتيبة كريمي، وكتيبة ربيعي، وغيرها.

وتمتلك فرقة فاطميون وحدات دروع ووحدة صاروخية ووحدة قناصين، بحسب التقرير الذي أشار إلى أن قائد وحدات الدروع يسمى «شمس». أما آمر كتيبة القناصين فيدعى «آقا معلم». وقال عن التسليح والتجهيز للفرقة الأفغانية إن قوات الحرس الثوري الإيراني هي التي تقوم بتزويد الفرقة بالأسلحة الخفيفة والمتوسطة. أما جانب من الدبابات والعجلات المدرعة فجاءت من جيش النظام السوري، «حيث ترك الدبابات القديمة والمستعملة لهذه الفرقة، ما تسبب في استياء القوات في القطاعات المدرعة لفرقة فاطميون».

وفي العام الماضي عندما تم تشكيل الوحدة المدرعة في فرقة «فاطميون»، كانت لها ٨ دبابات، ثلاث منها من دبابات «تي ٧٢» والبقية من طراز «تي ٥٥» القديمة، حيث كانت تجري عملية تعبئة المدفع يدويا ولم يستطع الأفغان الاستفادة منها في ساحة العمليات بشكل جيد. ويقول التقرير إن المشكلة التي كانت موجودة في أجهزة الاتصالات لهذه الدبابات تسببت في انعدام سرعة الحركة لها، من أجل التصويب وغيره. وإن هذا اضطر المقاتلين الأفغان في سوريا لأن «يتحدثوا فيما بينهم بصوت عال»، مشيرا إلى تدني مستويات التدريب لدى الوحدات الأفغانية الأخرى. وقال إنه «خلال العام الجديد أضيف عدد الدبابات لهذه الوحدة وأصبحت تمتلك أكثر من ١٥ دبابة».

ورصد تقرير مجاهدين خلق «مقرات التجمع والنقل والوجود والتدريب لقوات فرقة فاطميون في سوريا»، ومنها حامية الإمام حسين، وهو معسكر رئيسي للفرقة يقع في حامية الإمام حسين على بعد ٧٠ كيلومترا من دمشق باتجاه حلب. ويتردد على المعسكر نحو ألف شخص، يأتون إلى الحامية لقضاء فترة الإجازة قادمين من الخطوط الأمامية. كما يتم استخدامها لتوزيع القوات بين مختلف الجبهات.

ومن المقرات أيضا مقر شيشة آي (زجاجي)، وهو مقر القيادة لقوات الحرس الثوري الإيراني في

سوريا، ويقع إلى جوار مطار دمشق. وعند وصول القوات الأفغانية يتم توزيعها من هذا المقر. ويدعى أحد قادة المقر «كميل». وهناك أيضا حامية كبيرة تسمى «حامية رقية»، ويعود هذا المكان إلى قوات الحرس الثوري في سوريا، ويستقر فيه جانب من القوات الأفغانية أيضا. وتقع الحامية في بوروس (أو بورتس) في ريف حلب، ويدعى رئيسها «أمير بور»، وتستخدم لتوزيع وإرسال القوات إلى الخطوط الأمامية على جبهة حلب والتي تسمى بمنطقة بلاد.

وتوجد قوات الإسناد ووحدة الطبخ والدروع لفرقة «فاطميون» في معسكر زينب الذي يقع على بعد ٨٠ كيلومترا من دمشق باتجاه درعا. أما «حامية سراج» فيطلق عليها «الموقع التدريبي إم ١٣٠»، وهو عبارة عن معسكر لتدريب الدروع ويقع في منطقة تسمى «جرمانا» بالقرب من دمشق، وله ساحة كبيرة. ويدعى رئيس التدريب للمقر «شمس» وهو، وفقا للتقرير، أحد منتسبي قوات الحرس الثوري، بينما يدعى آمر الحامية «ثابت» ويعرف أيضا باسم «صفر».

ورصد التقرير مناطق المهمات والخطط العسكرية لفرقة «فاطميون»، ومنها المنطقة الرئيسية في خطوط التماس وتقع في جنوب حلب مع سائر قطاعات الحرس الثوري الإيراني هناك، بالإضافة إلى وجود بعض من هذه القوات في حامية الإمام حسين، وأخرى في خطوط التماس بشمال درعا وفي تدمر، وفي منطقتي حمص واللاذقية.

وتحدث التقرير عن مراكز تجنيد القوات الأفغانية في إيران، ومنها دائرة الرعايا الأجانب في محافظة طهران، «حيث يحضر مسؤول من قوة القدس اسمه حجت كربلايي أيام الاثنين والأربعاء لتسجيل أسماء المجندين». وذكر التقرير عنوان المكان بأنه يقع في مدينة زيبا، في شارع تعاون، وشارع فرزاد الشرقي وشارع نيلوفر رقم ٧.

أما مكتب تجنيد قضاء بيشوا، فيقع في ضاحية طهران العاصمة. كما قال التقرير إن هناك مكتب تجنيد آخر في مدينة ري، ويعد من أكثر المكاتب نشاطا في تجنيد القوات الأفغانية، مشيرا إلى أن المكتب يقع خلف روضة شاه عبد العظيم، ناحية «دوار نارنج»، في زقاق مسعود كيهاني، بالإضافة إلى مكتب آخر يحمل اسم «مكتب كرمان».

بعثة طهران الحكومية
تغادر الخرطوم وسمومها باقية

أحمد يونس – الشرق الأوسط ٢٠١٦/١/٣١

لا يزيل إعلان السودان مغادرة طاقم السفارة الإيرانية رسميا للعاصمة السودانية وحده الأثر الذي تركته العلاقة الطويلة والمتشابكة بين الخرطوم وطهران، ولن يزيل مترتبات الجهود المخططة والكبيرة التي بذلتها الأخيرة لنشر المذهب الشيعي في السودان، والتي ترجع رسميا إلى قيام الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩. فإن ذهبت إيران الرسمية فهناك الآلاف من الذين تأثروا بالجهد التشييعي الكبير الذي بذلته السفارة في البلاد، والروابط ذات الطابع الآيديولوجي مع بعض قادة الإسلاميين السودانيين الحاكمين، فتشيعوا وبلغ عددهم الآلاف.

قطعت الحكومة السودانية علاقتها الدبلوماسية مع إيران بعد الهجوم على السفارة السعودية وملحقيتها في إيران، وأمهلت سفيرها وطاقمه أسبوعين للمغادرة، وأعلنت في العشرين من يناير (كانون الثاني) الماضي أن البعثة غادرت الخرطوم بصفة رسمية بانتهاء المهلة.

مهدت الخرطوم لقرارها بقطع العلاقات الدبلوماسية مع إيران بقرار تمهيدي تمثل في إغلاق المراكز الثقافية الإيرانية في السودان باعتبارها تشكل تهديدا فكريا ثقافيا للمجتمع السوداني، وطرد الملحق الثقافي، وذلك في سبتمبر (أيلول) ٢٠١٤.

وترجع علاقة الإسلاميين الحاكمين العلنية مع إيران إلى أيام الثورة الإيرانية نهاية سبعينات القرن الماضي، وفي ذلك الوقت خرج الآلاف منهم في مظاهرات مؤيدة للثورة الخمينية حملت شعاراتها وهتفت بهتافاتها، وردد المؤيدون وقتها: «إيران.. إيران في كل مكان»، كاشفين عن تقارب فكري مبكر.

ويمكن اعتبار عام انتصار ثورة الخميني ١٩٧٩، وشعارات تصدير الثورة التي تبناها النظام الإيراني، الإعلان الفعلي للعلاقة بين إسلاميي السودان وروح التشيع، لكن المذهب الشيعي لم يجد له متكأ فعليا في السودان، إلا في عهد حكم رئيس الوزراء الأسبق الصادق المهدي، حيث افتتح أول مركز ثقافي إيراني في السودان عام ١٩٨٨، وبعدها بعام واحد جاء انقلاب الإسلاميين المعروف بالإنقاذ في يونيو (حزيران) ١٩٨٩ بقيادة الرئيس عمر البشير، لتبدأ مرحلة جديدة في علاقة إيران بالسودان.

منذ ذلك الوقت، تضافرت عدة ظروف محلية وإقليمية ودولية واقتصادية وسياسية، دفعت الخرطوم للارتماء في حضن طهران، فمن جهة فإن البلدين يواجهان عزلة دولية وإقليمية، وكلاهما يحاول أن يجد ظهرا يسنده في وجهها، فنتجت بينهما بادئ الأمر علاقة «مطاردي» المجتمع الدولي، وجمعتهما مصيبة العزلة، لكن في الوقت ذاته فإن التقارب الفكري بين تيارات مؤثرة وسط الإسلاميين السودانيين مهد لإيران تصدير «ثورتها الناعمة» إلى أنحاء السودان المختلفة، خصوصا الخرطوم وولايات شمال كردفان والولاية الشمالية، ليقارب عدد الشيعة السودانيين وفقا لإحصاءات غير رسمية ١٢ ألفا.

ويرجع مركز البحوث الإماراتي «المزماة» التطور اللافت في العلاقات بين البلدين في عهد الحكم الحالي، إلى تلاقي الخلفية الفكرية لنظامي الحكم في البلدين، والعزلة الدولية التي واجهت كلا من إيران والسودان، واللذين مثل تقاربهما نافذة يخرقان من خلالها عزلتهما بمواجهة النظام العالمي الجديد، وللاهتمام الإيراني بموقع السودان كمدخل لأفريقيا، فضلا عن رغبة الخرطوم في الاستفادة من الخبرات الإيرانية لخلق توازن إقليمي جديد في المنطقة.

ووفقا لصفحة الراحل محمد سيد حاج على «فيسبوك»، فإن إيران لجأت لعدة أساليب لتصدير ثورتها إلى السودان عبر التغلغل الشيعي في السودان، مستخدمة أساليب عديدة تضمنت تقديم المنح الدراسية للطلاب، والعمل على تشيع كُتاب وصحافيين، وإنشاء جمعيات صداقة سودانية إيرانية، ونشر مواد التشيع عن طريق المراكز الثقافي الإيراني، وإقامة سرادق الاحتفالات الدينية الشيعية، والتقرب من رجال الطرق الصوفية، والتظاهر بأنهم مجتمعون على حب آل البيت، وإنشاء فروع للمركز الثقافي في أم درمان، ومعهد الإمام جعفر الصادق الثانوي للعلوم القرآنية والدينية بضاحية العمارات السودانية.

وأنشأت إيران عددا من المراكز الثقافية والعلمية والاقتصادية في السودان، وافتتحت بها مكتبات عامة بلغ عددها ٦ مكتبات، وأقامت ٥ مؤسسات تعليمية أشهرها مدرسة الإمام علي بن أبي طالب الثانوية بضاحية الحاج يوسف شرق الخرطوم، ومدرسة فاطمة الزهراء لمرحلة الأساس للبنات بمنطقة مايو جنوب الخرطوم، إضافة إلى معهد الإمام جعفر الصادق الثانوي للعلوم القرآنية والدينية بحي العمارات الخرطوم، وأقامت ٨ جمعيات وروابط لأصدقاء المركز الثقافي الإيراني، إذ إن سياسة طهران تقوم على البحث عن الأسر الفقيرة أو المهمشة والتي لديها نسبه في الأمية حيث تعمل على استقطابها ونفث سمومها الفكرية في هذا الجيل لبناء جيل جديد يحمل أفكار الخميني، وتصدير الثورة بمفهومها الدموي، والأكاذيب والخرافات التي تعتمد عليها طهران في تمرير مشروعها السياسي.

اقتصاديا، أنشأت إيران عددا من المشاريع الاقتصادية، مثل شركة «إيران غاز»، التي يعمل فيها الآلاف، ولها فروع في معظم مناطق السودان، ولا تعطي التوكيل إلا لمن كان شيعيا أو قريبا من التشيع، وتقام فيها كل مظاهر التشييع.

ولعبت إيران دورا قويا في استخراج والتنقيب عن النفط في السودان، باعتبار الأمر منصة اقتصادية يقوم عليها نشر المذهب الشيعي في البلاد، وفقا لصفحة الشيخ سيد، لكن بحكم الصعوبات التي كانت يواجهها الاقتصاد الإيراني المتدهور بسبب الحصار فإن الخرطوم لم تتلق المساعدات الاقتصادية التي كانت تطمح فيها.

ويعد إنشاء المجلس الأعلى لشؤون أفريقيا أحد أهم المظاهر السياسية للتغلغل الإيراني في السودان، ويهتم بالمنطقة لتوصيل النفوذ الإيراني إليها، والنشاط اللافت للسفارة الإيرانية في تحسين العلاقات

الإيرانية السودانية، وبنائها ورعايتها للمراكز الثقافية الإيرانية في السودان.

عسكريا، يقول موقع «الحملة العالمية لمقاومة العدوان» إن إيران والسودان وقعتا عدة اتفاقات تضمنت مساعدة إيران للسودان عسكريا، وبذلت محاولات لتحويل الجيش السوداني من استخدام الأسلحة الروسية والصينية لاستخدام أسلحة وذخائر إيرانية، مقابل تخفيضات تصل إلى ٥٠ في المائة على مبيعات السلاح، وأن تقوم إيران بمساعدة السودان في بناء قاعدة صناعية عسكرية، لإنتاج السلاح الإيراني الذي تحتاجه الخرطوم.

وكون الجانبان لجنة عسكرية مشتركة في مجال الدفاع عن مصالحهما، والاتفاق على عدم السماح لأي طرف خارجي بالاعتداء على أحدهما، وتبادل الوفود العسكرية والتنسيق. وزار وفد عسكري إيراني السودان في مايو (أيار) ٢٠١٢، لتقييم الاحتياجات العسكرية السودانية، وقدم دعما ماديا لصالح المجهود الحربي، وأكد تواصل بعثات التدريب العسكرية السودانية في إيران.

ووفقا لقاعدة بيانات التجارة للأمم المتحدة في عام ٢٠٠٩، فإن حجم مبيعات الأسلحة الإيرانية إلى السودان في الفترة من ٢٠٠١ - ٢٠٠٨ تراوحت بين مليون دولار و٢٣ مليون دولار، ومثلت الذخيرة والمدفعية منها نحو ٥٤ في المائة، والأسلحة الصغيرة والمعدات الخفيفة نحو ٤٣ في المائة، والذخيرة الصغيرة منها نحو ٣ في المائة. وتمثل الصين وإيران وروسيا أهم الدول المصدرة للسلاح إلى السودان، حيث صدرت إيران إلى السودان ما قيمته ١٨,٤٩٦ مليون دولار بما نسبته ٢٢ في المائة من إجمالي قيمة الأسلحة المصدرة إليه.

ويقول مركز «الحملة العالمية لمقاومة العدوان» إن السودان أصبح أرض المعركة الجديدة بين إيران وإسرائيل، ونتج عن ذلك وصول سفينتين حربيتين إيرانيتين هما مدمرة وحاملة طائرات إلى ميناء بورت سودان، إثر قصف مقاتلات سلاح الجو الإسرائيلي لمصنع «اليرموك» للأسلحة في ٢٣ أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠١٢ وتدميره، وعدته إيران وقتها تمرينا على ضربة عسكرية ضد أهدافها النووية.

وتتهم إسرائيل البلدين بإنتاج صواريخ أرض - أرض طراز «شهاب»، في السودان، باعتبارها احتياطيا باليستيا لإيران حال نشوب حرب في المنطقة، كما تتهمهما بتهريب أسلحة إيرانية إلى مقاتلي حركة حماس الفلسطينية عبر صحراء سيناء المصرية، وبسبب هذا الاتهام وجهت إسرائيل أكثر من ضربة جوية لجماعات سودانية داخل الحدود، تحت الزعم بأنهم مهربو أسلحة إلى قطاع غزة.

وفي عام ٢٠٠٨، وبفعل ضغوط من الجماعات السنية السلفية، صادرت السلطات أكثر من ٢٠٠ عنوان من الكتب الشيعية عرضت في معرض الخرطوم الدولي للكتاب، وكانت أول تنبيه لافت للتمدد الشيعي في البلاد، بيد أن الجماعات الشيعية السودانية ردت التحدي بآخر، وأعلنت في أغسطس (آب) ٢٠٠٩ عن نفسها باحتفال أقيم بمناسبة ذكرى الإمام المهدي في ضاحية جبل أولياء بالخرطوم (٤٠ كيلومترا جنوب الخرطوم)، حضره أكثر من ٧٠٠ من أنصار المذهب في البلاد، وفقا لـ«الشرق الأوسط»، التي نقلت عن المحلل السياسي محمد خليفة وقتها أن هناك أربعة تيارات شيعية في البلاد: «خط الإمام الخميني، وتيار الإمام محمد حسين فضل الله في لبنان، وتيار الإمام محمد تقي المدرس من كربلاء في العراق، بجانب شيعة سودانيين عرفوا بالمحليين».

ورغم أن السفير الإيراني قد غادر الخرطوم مطرودا، وقبله الملحق الثقافي، وقطعت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، وأعلن السودان عودته لمحيطه العربي بمشاركته في «عاصفة الحزم» بقوات عسكرية ضد الحوثيين (الشيعة) في اليمن، فإن ما تركته السنوات الودودة بين البلدين لن ينتهي بين عشية وضحاها.

حديث في جذور الإرهاب والتطرف

د. محمد السعيدي – الوطن السعودية ٢٠١٦/١/٢٥

شاهدت مقطعاً على شبكة اليوتيوب يتضمن استجواباً من إحدى اللجان الأمريكية الرسمية لخبيرين قد يكونان على صلة بجهاز المخابرات حول ما أسموه الوهابية وعلاقتها بداعش، وعلاقة المملكة العربية السعودية فكرياً بهذا التنظيم ، وأفاد أحد الخبيرين بأن الوهابية ليست مثل داعش وضرب مثالاً لذلك بأن الوهابية في السعودية لا تقتل الشيعة بينما داعش تقتل الشيعة في العراق ، وقد كان المحقق يحاول جاهداً توجيه الأسئلة بطريقة تمكنه من الحصول على إدانة لما يُسميه الوهابية وإدانة للمملكة العربية السعودية ، حتى حصل فعلاً على قول الخبير إن الجذور والمنطلقات لتنظيم داعش والوهابية واحدة ، وأن الأسرة السعودية الحاكمة وهابية وأنها تستمد جزءً من شرعيتها من انتمائها للوهابية وأنها هي السبب في انتشار الفكر الداعشي وذلك عن طريق نشرها هذا الفكر في العالم بأسره مستخدمة مداخيلها من النفط والغاز.

هذا المقطع على قِصرَه يؤكد ما يقوله الخبراء والمطلعون من أن هناك مُخططّاً أمريكياً يرمي إلى محاربة السلفية والتذرع بجماعات العنف المتشددة وانتمائها للسلفية في وضع المُبَررّات الأخلاقية لهذه الحرب، ليس هذا وحسب، بل يصل المخطط إلى محاربة المملكة بأسرها باعتبارها حاضنة للسلفية التي يُصنّفها المُنَظِّرُون الأمريكيون بأنها أصل الفكر الداعشي.

وأحب هنا أن أُرجِع القارئ إلى أحد المؤلفات المهمة في تأكيد هذا التوجه الأمريكي، وهو كتاب [عندما يكون العم سام ناسكاً] وسوف يجد القارئ فيه العديد من النقول عن مراكز البحث والدوائر البحثية والشخصيات الأمريكية تؤكد أن الحرب على السعودية واستخدام السلفية كحجة لهذه الحرب باتت استراتيجية أمريكية ينبغي أن نفهم كثيراً من الأحداث المحيطة بنَا من خلالها .

وأحب أيضاً أن يتنبه الكثير من الكتاب وقادة الرأي السعوديين إلى أن أي ربط بين داعش والسلفية يعتبر مطلباً أمريكياً باعتباره يُمَثِّل حُجْة لن يتوانى الإعلام الأمريكي عن استخدامها في تبرير تلك الحرب الفكرية وربما الميدانية على وطننا أصالةً أو وكالةً ، لأن أي ربط بين السلفية وهذا التنظيم بقلم أو لسان سعودي سيجعلونه تحت عنوان: [من فمك أُدينُك]

ويجب أن يُدرِك الجميع أن الغلو في الدين يعبر عن خلل في فهم الدين يقع دائما بين فئة تقل وتكثر في أتباع الديانات كلها في كل زمان ومكان وليس مقتصراً على دين الإسلام.

ولهذا قال تعالى مخاطباً أهل الكتاب من اليهود والنصارى ﴿قل ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾ وقد غلا اليهود والنصارى في عدة جوانب أبرزها ، جانب العنف وجانب الرهبانية ، وحديثنا هنا عن جانب العنف ، فقد مارسه اليهود والنصارى عبر التاريخ مرات عديدة ، قاموا خلالها بمحاولات بشعة لتصفية مخالفيهم ، وقد نصت التوراة المحرفة على صور من هذه التصفية العرقية كما هو مسطور في سفر يوشع بن نون وغيره من الأسفار ، حيث يروي ذلك السفر القصة المزعومة ليوشع بن نون في استئصال الفلسطينيين بأمر من يهودا الذي كما تزعم التوراة المحرفة أعجبته رائحة شواء أجساد الفلسطينيين.

وعلى مر التاريخ شهدت العصور مجازر تصفيات عرقية بذرائع دينية من أهل الكتاب، من أبشعها مجزرة القدس سنة ٤٩٢ هـ ومحاكم التفتيش في إسبانيا ومجازر البلقان في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي والتي كانت تصفية المسلمين فيها على أسس الغلو في الدين، حتى قال الشاعر أحمد شوقي وهو يخلد مجازر مقدونيا:

ويحثه باسم الكتاب أقِسّة　　نشطوا لما هو في الكتاب حرام

وفي السنوات المتأخرة كانت مجازر الأرثوذكس ضد مسلمي البلقان أيضا وهي لا تخفى على الجميع ، أما مجازر اليهود ضد المسلمين في الضفة الغربية وغزة فأشهر من أن تعرّف ، وكذلك ما فعله الأمريكان والروس في الأفغان وما فعله

الأمريكان في العراق.

هـذه أمثلـة يـسيرة ولـو استقـصينا التـاريخ القـديم والحـديث لتأكـد لنـا أن الغلـو في الـدين والاحتجـاج بـه على الإسراف في قتل المخالف لا ينجو منها أتباع دين.

بـل الـشيعة الـذين يعتقـون الفكـر الـصفوي والقرمطـي - وممثلـتهم إيـران اليـوم هـي الحليفـة المبرقعـة للولايـات المتحـدة - قـاموا عـدة مـرات عـبر التـاريخ بمذابح شـنيعة ضـد الـسنة ، كـان آخرهـا مـا يحـدث هـذه الأيـام في ديـالى والمقداديـة علـى يـد الميليـشيات الإيرانيـة الـصفوية ، وتـشاركها أيـضا في هذه الجرائم ميليشيات بابليون المسيحية العراقية.

هـذا الجانـب مـن الغلـو يمكـن أن نـصفه بأنـه جانـب تلقـائي يكمـن في نـزوع بعـض النفـوس البـشرية بطبعهـا إلى العنـف فتخـتلط هـذه النزعـة بالتـدين أيـاً كـان المتـدين، سـوا أكـان يهوديـاً أم نـصرانياً أم مـسلماً ، فتنـتج غلـواً في جانـب العنـف ، لكـن الإسـلام اسـتطاع أن يَحُـدّ مـن هـذا الأمـر كـثيراً وذلـك عـن طريـق الدقـة والـوفرة في التعـاليم المحفوظـة والبعيـدة عـن التحريـف والعبـث والـتي لا توجـد في ديـن آخـر، ولـذلك كـان المـسلمون الـسنة علـى مـدى تـاريخهم حتـى عـصرنا الحاضـر أقـل الأمـم غلـوا في الـدين في جانـب العنـف، بـل حتـى التطـرف والغلـو الموجـود حاليـاً في المنظمـات المتطرفـة المنتميـة للإسـلام الـسني خاصـة، كالقاعـدة وداعـش، أقـل بكـثير مـن الغلـو والتطـرف الموجـود لـدى الـصهيونية اليهودية أو الصهيونية النصرانية أو الصفوية الشيعية.

وهـذا الـسبب التلقـائي للتطـرف في جانـب العنـف والـدماء والـذي تحـدثنا عـن وجـوده في كـل أتبـاع الـديانات يحتـاج إلى عوامـل تـضمن اسـتمراريته وانتـشاره وجاذبيتـه للأتبـاع، وهـذه العوامـل مـن الـصعب حـصرها وقـد وُجِـد الـكثير منهـا لـدى كـل أتبـاع الـديانات الـتي مـارس أتباعهـا الغلـو في العنـف والـدماء في كـل العـصور، لكـنني هنـا سـوف أقتـصر علـى التطـرف في الـدماء المنسوب لفئـة مـن أهـل الـسنة، وأسـرد بعـض أسـباب البقـاء والانتشار المتاحة له هذه السنوات، فمنها:

١- تـصور خـاطئ عـن مفهـوم تطبيـق الـشريعة والسبيل الصحيح لتطبيقها.

٢- غيـاب مفهـوم الموازنـة بـين المـصالح والمفاسـد والموازنـة بـين المفاسـد بمعنـى تقـديم أخـف المفـسدتين علـى أعلاهما عند الضرورة .

٣- غيـاب سـيرة الـنبي ﷺ عـن الاعتبـار بهـا في خضم ما يستجد من أحداث.

٤- عزلـة هـؤلاء الـشباب المتطـرفين عـن أهـل العلـم ، وقـد حـدثت هـذه العزلـة نتيجـة سـنوات مـن العمـل غـير المقـصود والعمـل المقـصود علـى تـشويه صـورة العلمـاء الحكماء في أذهان الشباب.

٥- وضـوح الحـرب العالميـة علـى الإسـلام والـتي لم تعـد تخطؤهـا العـين ، وليـست مقتـصرة علـى الإعـلام والفكـر ، بـل العنـف المسكوت عنـه والـذي تمارسـه دول كأمريكـا والـصين وميانمـار والكيـان الـصهيوني وإيـران أو منظمـات وأفـراد وتقنـع بالعنـصرية في أوربـا والأمـريكتين ، وهـذا العنـف الخطـير يعتـبر أبـرز الحجـج والـشعارات الـتي يعرفهـا التكفيريـون لإثبـات كفـر الأنظمـة واسـتحلال دمـاء العـاملين فيهـا علـى اعتبـار أنهـم راضون بما يحدث لإخوانهم من قتل وتصفية.

٦- ظلـم وجـور أكثـر الحكـام المـسلمين واسـتهانتهم بالـشريعة جملـة وتفـصيلاً، بـل ضـعفهم الـشديد ولـو في الجانـب الإعلامـي فقـط عـن مناصـرة قـضايا المـسلمين العادلـة في كـل مكـان، الأمـر الـذي جعـل لكـل الـدعوات الثوريـة والتكفيريـة في نفـوس الشباب جانباً من المصداقية ساهم في تبرير التطرف.

٧- اسـتغلال أجهـزة الاسـتخبارات المختلفـة إيرانيـة وصـهيونية وأمريكيـة وأوربيـة وروسـية لهـذا التوجـه والعمـل علـى اخـتراق هـذه الجماعـات حينـاً أو إنـشاء جماعـات تحـت قيـادات عميلـة لهـم، وذلـك بقـصد تمريـر مـشاريعهم بطريقـة يطـول شـرحها، لكـن هـذه الأجهـزة الاسـتخباراتية وفـرت غطـاء إعلاميـاً وتغاضـياً سياسـياً وتمكينـاً ماديـاً ، بـل وهيـأت ظروفـاً تجعـل دعـوات هـذه الجماعات أكثر إقناعاً.

٨- اسـتغلال منظـري الجماعـات لنـصوص مـن الكتـاب والـسنة متـشابهة أو نـصوص تعـسفت في حملـها علـى نظرياتهـا التكفيريـة وذلـك للحـصول علـى مزيـد مـن القـدرة الإقناعيـة علـى جلـب الأتبـاع أو التبريـر للـنفس لأن كـثيراً مـنهم يعتقـون الفكـر الـتكفيري المتطـرف الدموي قبل البحث عن دليل له.

نخلـص مـن ذلـك إلى أن نـسبة العنـف والتطـرف

إلى الفكر السلفي يعبر عن سطحية في تقدير الأمور، والمشكلة في هذه السطحية أنها ليست مجرد رأي أو انطباع يتفوه به شخص ما بل أصبحت بمثابة وثيقة تُستخدم في تبرير سياسات دولية لا تريد ببلادنا خيراً.

مفاوضات فاشلة وحضورها مهم

عبد الرحمن الراشد - الشرق الأوسط ٢٠١٦/١/٣١

تبدو المعارضة السورية أكثر صلابة في وفدها، رغم ما أصابها على الأرض من خسائر بسبب القصف الروسي، وآخرها خسارة بلدة الشيخ مسكين. سبعة عشر معارضًا وصلوا إلى جنيف يرأسهم رياض حجاب، الذي يحظى باحترام معظم القوى والفصائل السورية المعارضة. وحجاب عينه الرئيس بشار الأسد رئيسًا للوزراء في مرحلة الفوضى، يونيو (حزيران) عام ٢٠١٢، لكنه انشق عليه بعد ثلاثة أشهر، عندما فر بمعاونة الجيش الحر المعارض إلى الأردن. واختار في السنوات الثلاث الماضية العمل السياسي مع قوى المعارضة دون التورط في خلافاتها، وهذا ما جعله اسمًا مقبولاً عند تسميته رئيسًا للوفد الذي انبثق عن مؤتمر الرياض لقوى وفصائل المعارضة.

بحضورها المفاوضات، بكامل الوفد الذي تمت تسميته، تكون المعارضة قد تجاوزت العتبة الأولى فقط من سلم طويل في جنيف تقدر الأمم المتحدة أنه سيستغرق ستة أشهر وفق برنامج تفاوضي معروفة موضوعاته الرئيسية، لكن تفاصيله ليست واضحة. التقديرات الأولية كانت تتنبأ بأن المعارضة لن تفلح في الاتفاق، وها هي اتفقت، وستختلف على قياداتها، وها هي اختارت حجاب، وتجاوزت الاشتراطات الأولية عليها رغم أنها غير معقولة، فسياسة الوفد هي عدم إعطاء فرصة للنظام السوري وحليفيه، الإيراني والروسي، للانفراد بالمجتمع الدولي الذي يمثله فريق الأمم المتحدة ومبعوثها دي ميستورا. ويعلم أعضاء المعارضة أن ستة أشهر كافية لامتحان النيات والمشاريع السياسية، وبإمكانهم في الأخير رفضه والاستمرار في محاصرة النظام.

الموضوعات الرئيسية، المستعجل منها، مثل مشروع وقف إطلاق النار، هل يمكن تحقيقه؟ سيكون سهلاً على المعارضة القبول به في حال حصلت على السماح لها بإدارة مناطقها التي تحت سيطرتها، وهي أيضا لن تكون مسؤولة عن نشاط مناطق التنظيمات الإرهابية مثل «داعش» و«النصرة». فهل سيستطيع المفاوضون فرض نفس الشروط على نظام الأسد والإيرانيين والروس، بوقف العمليات العسكرية؟ هنا التحدي يقع على فريق الأمم المتحدة والدول الراعية.

ما فعلته المقاتلات الروسية أمس بقصف مخيمات اللاجئين شمال اللاذقية، ورأينا النيران تحرق الخيام، وتدفع آلاف السوريين نحو الحدود على أقدامهم هربًا من جديد يُبين طبيعة التحدي. يجب الاحتجاج على عمليات الروس والإيرانيين وحزب الله التي تستهدف السوريين، وتكون دائمًا لها الأولوية في جنيف، حتى لا يجد الروس والإيرانيون التفاوض فرصة لاستكمال التطهير الطائفي، والتقدم على الأرض.

وبين الهدنة، وفتح الممرات، وحصر مناطق النزاع، والاتفاق على تبادل الأسرى، وإيصال المساعدات، سيمر وقت قبل فتح الحديث عن مستقبل الحكم في سوريا، الذي هو سبب الحرب وغاية مؤتمر جنيف. والحقيقة لا يوجد هناك من هو متفائل من مفاوضات جنيف في حسم النزاع، فهو مؤتمر سياسي له غايات مختلفة غير معلنة. الإدارة الأميركية تريد أن تقضي هذا العام في نشاط دبلوماسي حتى لا تتهم باللامبالاة تجاه أخطر قضية نزاع تؤثر على السلم في العالم اليوم، والأوروبيون كل همهم كبح حركة اللاجئين المتجهة نحو حدودهم، أما الروس فهم يعتقدون أنهم قادرون على فرض حل سياسي يجبر المعارضة على الاستسلام لحكم الأسد، مع منحهم مقاعد هامشية في حكومة رمزية.

أما لماذا تشارك المعارضة طالما أنها عارفة بالأهداف المتواضعة للوسطاء والمفاوضات، أولاً لأنها لن تخسر بحضورها شيئًا، وثانيًا حتى لا ترمم بغيابها شرعية نظام الأسد دوليًا، وتحضر حتى تنازع النظام في كل القضايا وتتحداه. لقد عقد مؤتمر جنيف الماضي قبل عامين تقريبًا في نفس اليوم الذي يوافق المؤتمر الحالي، ووعد نظام الأسد أنه خلال عام سيقضي على المعارضة، لكنه رغم استنجاده

بالإيرانيين ثم الروس لا يزال عاجزًا إلى اليوم. وهكذا فإن جنيف والأمم المتحدة لا تستطيعان أن تفرضا على الأغلبية السورية ما ترفضه، وستستمر الحرب التي تأكل من مقدرات الإيرانيين والروس، في وقت لن يتعافى النظام مهما حاول حلفاؤه دعمه، لأنه أصبح مشلولاً بعد أن فقد معظم قواته العسكرية والأمنية.

الأكراد في العدوان الروسي على سوريا

محمد زاهد جول – الخليج أون لاين ٢٠١٦/٢/٤

بدأت روسيا غزوها لسوريا بتاريخ ٣٠/٩/٢٠١٥ وبين يديها خطة عسكرية ذات مسارين أو هدفين سياسيين، وهما:

١- الخطة الأولى: القضاء على المعارضة العسكرية السورية، وهدفها السياسي تثبيت حكومة بشار الأسد، مع تعديلات طفيفة على نظام الحكم السوري يخدع العالم بتحقيق تغيير في النظام السوري بعد خمس سنوات من الحرب، وبعد مئات الألوف من القتلى وملايين المشردين والمفقودين السوريين.

٢- الخطة الثانية: إقامة دولة علوية لبشار الأسد، أو من يسير في مخطط التقسيم، والخطة الثانية هي بديل عن الخطة الأولى في حال فشل تطبيق الخطة الأولى بالقضاء الكامل على القوة العسكرية الفاعلة عند فصائل الثورة السورية.

كانت الخطة الأولى تأمل أن تنهي مهمتها العسكرية بالقضاء على القوة العسكرية للثورة السورية خلال أيام وأسابيع فقط، وإن طالت حربها العسكرية فلا تزيد على ثلاثة أشهر، وفي حدها الأقصى أربعة أشهر، وكان في مخططها أن تكون فصائل الثورة السورية قد تلقت درساً لن تنساه من قوة وجبروت الجيش والطيران الروسي، ولا يبقى أمامها إلا الاستسلام العسكري أو الاستسلام السياسي للجبروت العسكري الروسي، سواء في مؤتمر جنيف أو غيره.

ولكن، وبعد ثلاثة أسابيع، أدرك الجيش الروسي أن مهمته العسكرية صعبة جداً، وبدأ يتحدث عن مدة زمنية مفتوحة للتدخل العسكري الروسي في سوريا، لأن حصيلة قصفه الجوي خلال الأسابيع الثلاثة الأولى كانت أدنى بكثير مما كانت تتوقعه الخطط العسكرية الروسية، فقد اعتاد الجيش الروسي أن يستعمل ضد عدوه خطة الأرض المحروقة، وتدمير كل هدف أمامهم في مدة قصيرة، ثم يحتل تلك المنطقة، وقد أعد للاحتلال الأرضي جيش الأسد وكتائب من الجيش الإيراني أرسلت خصوصاً من إيران للاحتلال الأرضي بعد بدء الغزو الروسي، ولكنهم لم يجدوا من الأهداف العسكرية شيئاً ذا قيمة عسكرية، سوى هياكل المعسكرات، وبقيت فصائل الثورة السورية تتحرك بحرية وقوة، وتسيطر على مواقع جديدة، فأدرك الجيش الروسي أنه فشل في خطته العسكرية.

ولذلك تحول القصف الروسي إلى الأعمال الانتقامية والتخبط السياسي، فأخذت الأعمال الروسية الانتقامية تقصف المدنيين حيث لا أهداف عسكرية أمامهم، فقصفوا المساجد والمستشفيات والمخابز والأسواق، ليعاقبوا الأهالي المدنيين أولاً، وأخذ التخبط السياسي يتحرش بالحكومة التركية، وانتهاك الأجواء التركية هو لخلق مشكلة دولية بين روسيا وتركيا، ولحرف الأنظار الدولية عن الفشل العسكري الروسي في سوريا، وفي الوقت نفسه لتكون حجة أمام العالم لحرف مسار العدوان الروسي من البحث عن حل للمشكلة السورية بعامة إلى إقامة دولة علوية على الساحل السوري لحكومة بشار الأسد وما تبقى من مؤسساته وأجهزته الأمنية والعسكرية، أي لتنفيذ الخطة الثانية. وأهداف الخطة الثانية هي:

١ ـ ألا تظهر روسيا دولة خاسرة في تدخلها العسكري، وبالأخص أمام الشعب الروسي، وإظهار أن الأطراف الأخرى هي من تتحمل المسؤولية عن تقسيم سوريا، وبالأخص تركيا والسعودية وقطر بالدرجة الأولى، ثم تحميل الفصائل السورية المقاتلة المسؤولية عن تقسيم سوريا، باتهامها برفض الحل السياسي في جنيف، وإنما هي ترفض الحل السياسي وفق الخطة الروسية الجائرة والظالمة والباطلة.

٢ ـ وهدف تقسيم سوريا يؤدي من وجهة نظر روسية إلى الحفاظ على النفوذ الروسي في سوريا، وبالأخص على الساحل السوري حيث القواعد العسكرية

الروسية على البحر الأبيض المتوسط.

٣ ـ ومن أهاف التقسيم السعي للحفاظ على المصالح النفطية وطرق نقل الغاز الروسي إلى أوروبا عبر المتوسط، إضافة إلى شراء حقوق إنتاجه في الساحل السوري مقابل المجهود العسكري الذي بذلته روسيا لبقاء نظام الأسد، وهذا يتطلب أن يكون شمال سوريا تحت سيطرة روسية أو موالية لروسيا مثل سيطرة «حزب الاتحاد الديمقراطي» الكردي، وقواته العسكرية «وحدات حماية الشعب»، وهذا هو سر إصرار روسيا على رفع مستوى التعاون العسكري مع حزب الاتحاد الديمقراطي السوري الكردي سياسياً وعسكرياً، لأن مشروع التقسيم يتطلب عسكرياً بالنسبة للروس تأمين المخاطر القادمة من الشمال، وذلك بإنهاء الوجود العسكري في الشمال السوري للمعارضة السورية، وهذا الهدف هو محور الصراع الروسي التركي الحالي، وكذلك تأمين جنوب سوريا عسكرياً، من خلال تعاون عسكري روسي أردني.

إن الجديد في الصراع الروسي ضد تركيا هو منعها من الاعتراض على الحل الروسي في الشأن السوري، بعد رفضها التعاون مع الرؤية الروسية للحل السياسي في سوريا، فتركيا ترفض مشاركة روسيا في إبقاء بشار الأسد في السلطة وإنهاء مشروع الثورة الشعبية، وتركيا لا تسلك طريقاً يفرض على الشعب السوري ما لا يريده، فقرار بقاء الأسد وإنهاء الثورة السورية أو مواصلتها هو قرار الشعب السوري وحده، وليس قرار تركيا ولا روسيا ولا أمريكا ولا السعودية ولا قطر ولا إيران ولا غيرها، واليوم المعارضة السورية الأصيلة الحقيقية موجودة في جنيف، فليكن الحل السياسي معها، فإذا فشلت روسيا وإيران في فرض الحل العسكري في سوريا خلال خمس سنوات، وفشلت روسيا وأمريكا وإيران في فرض الاستسلام السياسي عليها في جنيف، فهي أمام خيار مواصلة الثورة فقط، وهذا ليس في مصلحة روسيا ولا إيران ولا تركيا أيضاً.

إن تركيا تريد الاستقرار في سوريا بأسرع وقت ممكن، وفرض التقسيم على السوريين سوف يدخل روسيا في حرب طويلة الأمد في سوريا لن تستطيع الانتصار فيها، وفرصة روسيا الحقيقية والذهبية أن تكسب المعارضة السورية المعتدلة إلى جانبها، فكما وافقت على التفاوض مع فصيل «جيش الإسلام» وفصيل «أحرار الشام» في المحادثات في جنيف، فعليها أن تقبل أن هذه الفصائل هي جزء من الشعب السوري الأصلي، وان شخصيات المعارضة التي صنعها بشار الأسد لا تستطيع التفاوض على الحل، ومن ثم فهي أمام التوصل إلى حل سياسي عادل مع المعارضة السورية الأصلية فقط.

وأما فصائل المعارضة المزيفة فلا تملك خيار الحرب ولا السلام، وكذلك «حزب الاتحاد الديمقراطي» الكردي، فلا يملك قرار الحرب ولا السلام ولا الحل العادل، وهو يعلم وزنه من غير الدعم الأسدي له، فلولا دعم بشار الأسد والحرس الثوري الإيراني له، بل والدعم الأمريكي له بحجة محاربة داعش، فهو لا يمثل شيئاً، لأنه يُستخدم أداة لا ممثلاً للأكراد في سوريا، لأن الأكراد في سوريا ممثلين في كل فصائل المعارضة السورية؛ في المجلس الوطني السوري الأول، وفي الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، بل كانوا في رئاسة هذا الائتلاف وغيره، فهم جزء من الشعب السوري، مثلهم مثل التركمان والعلويين وغيرهم، والدولة السورية المدنية القادمة يمكن أن تجمع كل القوميات ولا تستثني أحداً، أما من يريد استخدام الأحزاب الكردية في حروبه العبثية مثل الأمريكان فإنهم يدعمونهم ثم يرمونهم إلى غيرهم إذا انتهت المصلحة معهم، وروسيا لن تكون حريصة على الأكراد في المنطقة أكثر من الدولة والحكومة التركية، فتركيا لا تريدهم جنوداً مرتزقة لكل متهور دكتاتور في المنطقة، وإنما تريدهم جزءاً طبيعياً مثل غيرهم من أبناء المنطقة، ولهم كافة الحقوق والواجبات وفي مقدمتها حقوق المواطنة الكاملة.

"داعش" يبدّل جلدته الإعلامية

وليد بركسية - المدن ٢٠١٦/٢/٥

تغيير شامل أحدثته وكالة «أعماق» الإخبارية التابعة لتنظيم «داعش» التكفيري، حولها فجأة من مجرد مصدر إخباري داعم للتنظيم، إلى أبرز مصدر رسمي لكبرى الصحف ووسائل الإعلام في المنطقة والعالم، وذلك لنشر المعلومات الميدانية.

التغيير المذكور لم يكن في نوع المعلومات والصور والتصريحات، بل في طبيعة المفردات التي تبدو أكثر إخباراً، مقارنة بأداء الوكالة نفسها عند تأسيسها في تشرين الثاني/نوفمبر عام ٢٠١٤. التغيير الذي طرأ، لا يقتصر على إستبدال كلمات مثل «الجيش النصيري» و«الروافض» ومختلف الصفات ذات البعد الطائفي التي يتداولها إعلام «داعش» عند حديثه عن أعدائه، فقد استبدلت الوكالة قاموساً بأكمله، للحديث عن «الجيش السوري» و«قوات النظام» و«طيران التحالف»!

التغيير ليس اعتباطياً بكل تأكيد، بل هو نتيجة تخطيط مسبق، مع إدراك «داعش» دون ريب لعبثية التوجه للجمهور المعادي له بنفس المفردات التي يتوجه بها إلى جمهوره، أو من هم في الأراضي التي يسيطر عليها، وبالتالي تصبح إمكانية إيصال البروباغندا الداعشية إلى الآخر «أكثر سهولة» وربما «أكثر فاعلية». ومن غير المستغرب أن تكون هناك فتوى سرية تبيح ذلك السلوك «غير السويّ» في توصيف «أعداء الله»، من منطلق «الضرورات تبيح المحظورات»!.

الوكالة كانت قد أطلقت تطبيقاً خاصاً بها للهواتف المحمولة أواخر العام ٢٠١٥، وهو ثاني تطبيق لـ «داعش» من نوعه بعد تطبيقه الأول «ناشر»، وفيه نلاحظ تكراراً للخصائص السابقة، حيث تصل مواد الوكالة إلى المستخدم فقط دون إضافات قد تكون منفّرة ومزعجة. وكان متوفراً عند إطلاقه في متجر «غوغل بلاي» قبل حظره لاحقاً، فيما توفره مواقع تابعة للتنظيم بشكل مستقل.

لتحقيق كل تلك التغييرات، أنشأت «أعماق» لنفسها مدونة بتصميم جذاب على منصة «وورد برس» لبث الأنباء. ويلاحظ فيها، خلافاً لكافة المدونات الداعشية كثيرة العدد، النظافة والترتيب واعتماد اللون الأبيض بدل الأسود في التصميم، والابتعاد عن التبويبات الإسلامية الروتينية مثل الفتاوى والأناشيد وحتى المقاطع التي تمجّد بالخلافة الإسلامية المزعومة.

الابتعاد عن أسلوب المديح والهجاء، يوازيه ضخ للأنباء بانتظام ومن دون تفاصيل جانبية، فيقدم الخبر في سطرين أحياناً، وفي احيان أخرى، يكون الخبر عاجلاً لا يتعدى العنوان فقط. ومن هنا تحاول الوكالة إعطاء المصداقية لنفسها.

وكانت «أعماق» تتبع أسلوباً مغايراً تماماً في نشاطها القديم وتحديداً في «تويتر» الذي نشأت فيه ثم تخلت عن التغريد عبره منذ آب/أغسطس الماضي في خطوة مفاجئة، لكون «داعش» هو أبرز التنظيمات التكفيرية الناشطة عبر السوشيال ميديا عموماً وبالتحديد «تويتر».

على ضوء ذلك، يمكن القول أن الأسلوب الجديد خطير من ناحية اعتماده على مزاعم «المصداقية» التقليدية لترويج المواد الدعائية. فالكثير من الأنباء لا يمكن التحقق من صحتها فقط بمجرد صياغتها بلغة إعلامية «حيادية» واحترافية، كما يظهر المرونة التي يتعامل بها «داعش» في حرب المفاهيم الحالية، والتي تميزه عن كثير من التنظيمات التكفيرية أحادية اللغة والخطاب.

التغييرات الاعلامية «المرسومة»، تظهر أيضاً في قسم الأنفوغرافيك الذي يظهر بوضوح ميل «أعماق» للمعلومات المجردة بدل الآراء، كما نلاحظ وجود حساب رديف لها على منصة «تامبلر» قليلة الانتشار في العالم العربي والشهيرة بكونها منصة لتبادل وعرض الصور بالدرجة الأولى، فيما تستخدم الوكالة سحابات تخزين متعددة عبر الإنترنت لبث مقاطع الفيديو في ظل الحرب التقنية الذي تمارسها كبرى الشركات العالمية ضد «داعش» في إطار الحرب على الإرهاب.

علي إم بي سي:
التعاون الليبرالي الصوفي ضد من؟؟!!

موقف المثقف الجديد ٢/٢/٢٠١٦

إم بي سي تفتح فصلاً جديداً من التفاهم والتعاون بين الليبراليين وغلاة التصوف والخرافة، حيث استضافت

الإعلامية بدرية البشر الصوفي الخرافي علي الجعفري وهو المعنيّ بتأسيس المشروع الصوفي العالمي، الذي يعمل على مقاومة وتطويق السلفية بكل مظاهرها ، داخل الخليج وخارجه ،وصار الجعفري أيقونة ومنصة مضادة للعقيدة الصحيحة، وهو كذلك منذ بدأ بحمل هم نشر الانحرافات العقدية. وما يدعو له علناً يؤكد البعد الأسطوري والغرائبي الذي ينسبه صراحة إلى صميم التوحيد المحمدي.

البعض يرى أن ثمة مفارقة بين الموقف الليبرالي المقاومة للخرافة والصوفي الداعي لها ، ولعل هذه التناقض كان سائغاً قبل بروز التصوف الجديد العلماني ونظريته الفلسفية التي تكشف عن تحولات صوفية باتجاه العلمانية مع الاحتفاظ بالخرافة ،وتجاوز الفروق العقدية التي تخلت بالضرورة عن شرط الشريعة ، أو ساوتها بغيرها من النظم الوضعية .

الليبرالي ينطوي في شخيصته على البعد (الصوفي العلماني) ضد الشريعة والفارق العقدي الذي ينعتونه بالتمييز والعنصرية.

الجفري سخّر خرافاته لخدمة الفريق العلماني سياسياً وحزبياً، فبدا عضواً فاعلاً في تغليب خيار العلمانية ضد الفريق الآخر الذي يقاوم العلمانية ويدعو إلى الشريعة ، ومن هذا التحالف تتعزز أهلية الجعفري والتيار الصوفي العلماني ليحل محل السلفية وعلماء ودعاة الشريعة لتمثيل الإسلام بكل فروعه العقدية الفقهية، والسلطة العلمانية تعزز قوة الصوفية للاستحواذ على مفاصل القيادة الدينية.

الليبرالي وعى هذه التحولات الدينامية داخل تفسيرات الصوفية الجديدة للنص الديني، وهي ليس محدثة بل مسبوقة ومستندة إلى كتابات ابن عربي والحلاج وآخرين ، أسسوا قاعدة لا دينية باسم الدين، ينطلق منها الصوفية الجدد والليبراليون في إعادة قراءة التراث الديني باتجاه تعطيله أو احتوائه بنعومة ماكرة، ليؤولوه إنسانوياً. متجاوزاً المحدد الإسلامي، وليكون (الإسلام ليبرالياً بطبعه) كما يرددها العلمانيون.

الجفري وتياره محضن روحي لليبراليين، لا يدّخر وسعاً في خدمة الأحزاب والمواقف العلمانية، حيث كشفت الاحداث الأخير أن غلاة وقيادات الصوفية مخلصون للعلمانية في مواجهة ما وصفوه بـ (الإسلام السياسي).

بدرية البشر تستضيف علي الجعفري بعد تاريخ عريض وتجربة مميزة من الصدامات مع السلفية فكراً وفقهاً، لتصعد بالجعفري ممثلاً عن الإسلام المعتدل حسب تعبيرهم وتسويقهم لشعارات الوسطية، ولها سلف في الليبرالية حصة آل الشيخ التي وصفت على الجفري بـ(النوراني) في صحيفة الرياض.

علي الجعفري في إم بي سي لإضعاف السلفية، والحد من حضورها في الوعي الشعبي ،ولن تجد أفضل من صاحب الابتسامة الناعمة والإلقاء الناعم والحقد الخشن على السلفية ودعاتها الخصوم التقليدين للصوفية والليبرالية وبدرية البشر